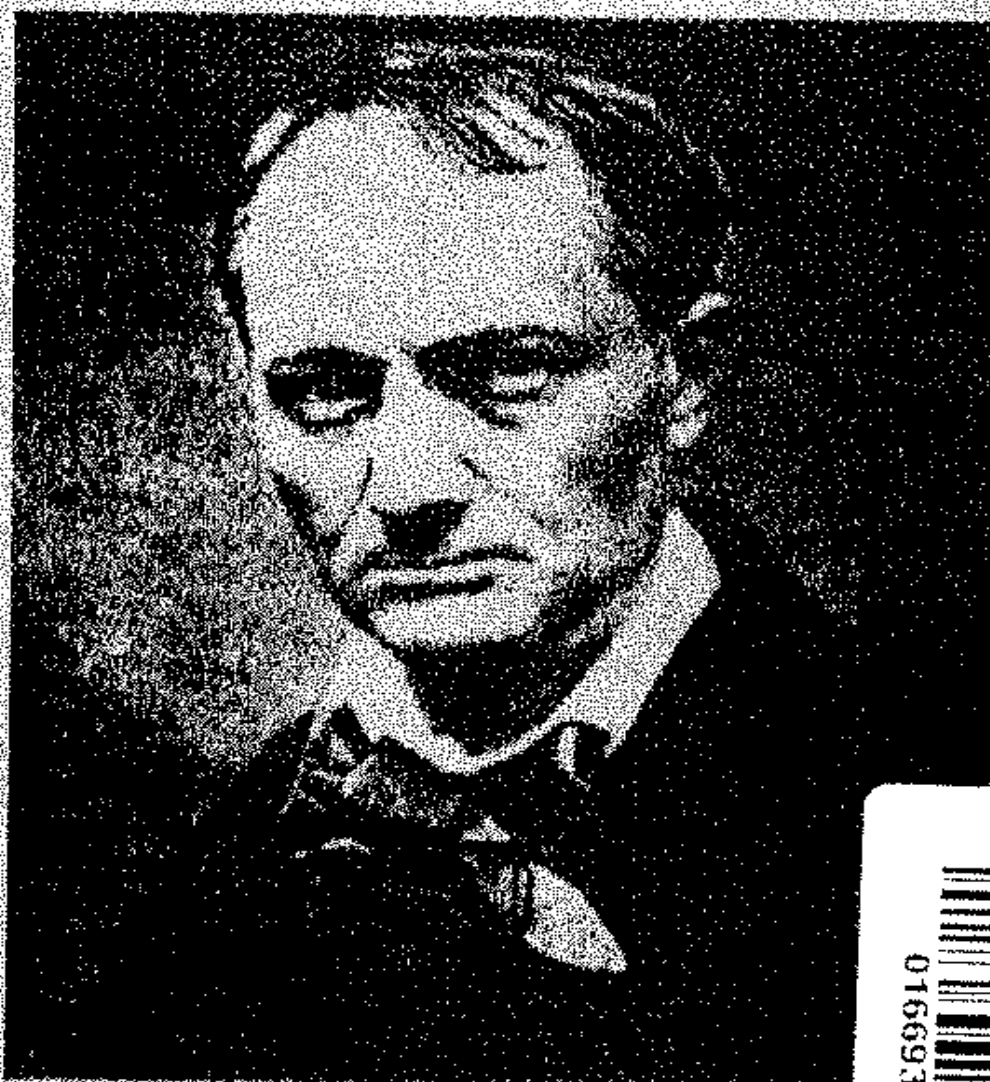
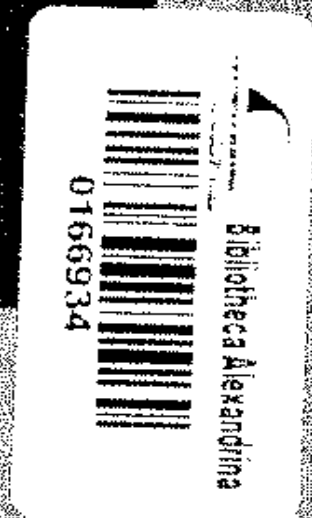


مكتبة
الكتاب



مكتبة
الكتاب



شارل بودليير
شاعر الخطيئة والمترد

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر ٩٧/٣/١٠٢
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبات والوثائق الوطنية ٩٧/٣/٢٤٠

Dar Al-Bashir

For Publishing & Distribution

Jerusalem Jewel Trade center Al-Abdali

Tel: (659891) / (659892)

Fax: (659893) / Tlx. (23708) Bashir

P.O.Box. (182077) - (183982)

Amman 11118 Jordan

دار البشير

مركز جوهرة القدس التجاري - العبدلي

هاتف: ٦٥٩٨٩٢ / ٦٥٩٨٩١

فاكس: ٦٥٩٨٩٣ - تليكس: ٢٣٧٠٨ بشير

ص.ب: ١٨٢٠٧٧ / ١٨٣٩٨٢

عمان ١١١١٨ الأردن

شارل بودليير

شاعر الخطيئة والمترد

تَقْرِيبٌ وَتَحْيِيلٌ
الدكتور عمر عبد المجيد

توزيع
دار البشير

إهداء

إلى ابنتي نوار...

فقد كان لها الفضل في دفعي لاقتحام عالم هذا

الشاعر المدهش !!!

الذي خلق بعبقريته لغةً جديدةً ...

وعلاقاتٍ جديدةً بين المفردات.

عذابات الشاعر

إلى روح الشاعر شارل بودلير

أيها المحمولُ كالنعرش ...
على جمر خطاياك العظيمة.
من صياح الديكِ حتى غسقِ الليل ..
تجرُّ جناحكِ على الأسفلتِ ...
مخموراً بأوجاع الهزيمة.
عائراً في خطوك المجرّوح حتى العظم ...
تقتاتُ الأسى زاداً على بحرِ أماسيك ...
المليئة بالتشردِ والفجيعة.
وتضاجعُ الأفعى التي شحنتك بالسم الخرافي الزعاف.

تغشى طواحين الجنون ولا تخاف.
وتعاشر الشيطان والسعلاة ..
والغول الذي يقتات من أعصابك المشدودة ..
الأوتار آلاء اليقين .
يا طائر البطروس أنت « الجرح والسكين »
والألم الذي يفري عظامك في تضاعيف السنين .
للريح صدرك عاري الكتفين ..
إلا من دثار الشعر والوهج الذي ..
يأتي بميلاد القصيدة.
للثلج والأمطار معطفك الذي
اهترأ النسيج به كما اهترأت ...
بداخلك القناعات العتيدة .
يا طائر البطروس نار الشعر محرقة
شقيت بوقدها دهرأ ..
كما شقيت قرايين العقيدة
للم غناءك من خلوق الطير ...

والريح التي هجرتُ شِراعَكَ في أجاجِ الملح ..
وادخل حافي القدمين للنُّصبِ القديمةِ
لا باغياً ظفراً ..
ولا مستسلماً تخشى الهزيمةِ
فالريحُ قد هدأتُ.
فتم كالطفلٍ حين يَهْدَهُ تعبُ النهارِ
مزمارةُ القصبي منكسراً
ودميته الأثيرةُ عند أقدام الجدارِ

عـ

الخرطوم أبريل ١٩٩٤م

رسالة إلى القارئ

ولكن بين الثعالب والفهود والقُمَل ..
والقِرْدَة والعقارب والنسور والحَيَّات ..
والوحوش العاوية الصارخة الراحلة ..
داخل آثامنا الدنيئة المقززة
فإنّ هنالك من هو أكثر بشاعة وأكثرُ خبثاً وقُدَّارة،
رغم كونه مستكيناً دون حركةٍ أو صراخٍ.
جاعلاً من الأرض حطاماً ونيابٍ.
وبوسعه ابتلاع العالم في شهقةٍ واحدة:
إنّهُ الضَّجْرُ ..
العينُ المليئةُ بالرعبِ اللاإرادي،
الحاملةُ في ارتخاءِ على مَبْصَةِ الإعدامِ وخلفِ دخانِ التراجيلِ.

وَأَنْتَ تَعْرِفُهُ أَيُّهَا الْقَارِئُ الْمُنَافِقُ ..

يَا شَبِيهِي يَا أَخِي ..

إِنَّهُ الضَّجَرُ !!!

شارل بودلير

مدخل

في البدء أود أن أضع نفسي على كرسي الاعتراف لأقرّ بحقيقة مؤداها أنّ ترجمة الشعر من لغته الأصلية إلى لغة أخرى، عملية شاقة للغاية بل تكاد تكون ضرباً من الجنون . فترجمة الشعر محاولة لإعادة الخلق ومعاناة مخاضٍ ثانٍ . إذ أنّ مترجم الشعر يجهد نفسه ليضعها في اللحظة الشعرية للعملية الإبداعية لمعاناة الشاعر إبان الطلق الشعري، الذي يسبق عادة عملية الخلق وإنجاب «المعادل الموضوعي»، الذي يعتمل ذهن ووجدان الشاعر بالتيارات المضطربة الصخبية على حدّ تعبير ت.س. إليوت . وبما أنّ اللغة، أيّ لغة، في تحليلها النهائي تمثل عقلية وتراكماً ثقافياً ومعرفياً وتاريخياً طويلاً، وقيماً جمالية وروحية للشعب الذي يتحدثها، فإنّ نقل العمل الإبداعي والشعر على وجه الخصوص من لغته الأصلية والبيئة التي نشأ فيها إلى لغة أخرى، وبالتالي إلى عقلية أخرى وبيئة أخرى وموروثات أخرى تصبح مهمة في غاية الصعوبة والمشقة، مما قد يفقده الكثير من بهائه وعذوبته، بل يجعل منه في كثير من الأحيان عملاً باهتاً يفتقر إلى الإمتاع

وإثارة الدهشة المفترضة أن يُجلِّقها في نفس المتلقي إذا ما أتاحت له قراءة النص في لغته الأم . بالإضافة إلى ذلك فإن الصورة الشعرية في حدّ ذاتها تمثل رؤيا تلتقطها عدسة عين الرؤيا الشعرية لدى الشاعر، وبما أنّه من الاستحالة بمكان ترجمة الرؤيا فإنّ ترجمة الصورة الشعرية بكلّ ظلال كلماتها وتشعب أبعادها ووقع تأثيرها يصعب بالمثل نقلها من لغة إلى لغة أخرى .

إذ أنّ لغة الأصل تخلع عليها خصوصياتها البيئية والتراثية، وتضفي على مفرداتها ظلالاً لا توطرها القواميس . ومن هنا تزداد الصعوبة وتتعدّد المهمة . وبما أنّ الإحساس بالجمال أو القبح أمران نسيان خاضعان للتكوين النفسي والنسيج العصبي ورهافة الحسّ فضلاً عن الموروث الحضاري والقيم الجمالية والأخلاقية السائدة في المجتمع، فإنّ الصدمة الجمالية التي يحدثها الشعر الجيد تختلف من لغة إلى أخرى ومن متلقٍ إلى آخر. لهذه الاعتبارات فإنّ الشهرة التي يحظى بها بعض الشعراء في بيئات غير بيئاتهم عبر نقل أشعارهم إلى لغات أخرى، تكون عادةً مشار دهشة واستغراب، وهذا بالضبط ما حدث للأمريكان والألمان عندما رأوا تعلق الفرنسيين بأشعار إدجار آلان بو وهنري هين رغم كونها مترجمة للفرنسية من الإنجليزية والألمانية . وذلك نظراً للأسباب التي تطرقنا إليها في مطلع هذا الحديث . ولا نعتقد

أنّ أيّ قارئ أجنبي مهما أوتي من معرفة باللغة العربية أن
تكون له نفس الحاسة والشعور بالنشوة والمتعة الجمالية التي يجدها
القارئ العربي لمعلقة امرئ القيس مثلاً، أو رائية عمر بن أبي
ربيعة، أو أنشودة المطر للسيّاب، أو العودة إلى سنار لمحمد
عبد الحى، أو الرميكية لأنس الحاج، أو قطار الغرب لمحمد المكي
إبراهيم .. إلخ.

ماهي القصيدة؟ وما هو الشعر؟

في حقيقة الأمر فإنّ القصيدة ما هي إلا شكل واحد من أشكال التعبير الشعري، فالشاعرية يمكن العثور عليها في الكثير من ضروب التعبير الوجداني . إذ يمكن وجودها في الرواية كما يمكن أن تكون موجودة في اللوحة أو في المقطوعة الموسيقية أو في المناظر الطبيعية أو في البشر أنفسهم «جورج بمبيدو Anthologie De la poesie Fransaise»، والشاعرية في كافة مدلولاتها وجميع أشكالها وصورها ما هي إلا انبثاق قوة أشبه بالحلم، وغوص في الأعماق تثير في نفس المتلق أو المشاهد أو المستمع ضرباً من ضروب الفرح المشوب بالحزن أو الحزن الممتع بتعبير آخر أو البهجة المتأتية من العذوبة الشعرية . وإن كانت الشاعرية موجودة في الكثير من الأشياء كما جاء في اعتقاد «جورج بمبيدو»، فإنّ ذلك لا يعني أن لا نطلبها لدى الشعراء. فالرواية واللوحة والسيخفونية الخالية من الشاعرية يمكن قراءتها أو مشاهدتها أو سماعها . بمعنى أنّه يمكن الاستغناء عن الشاعرية فيها إذا ما اتسمت بجودة الصنعة ومتانة السبك . ولكن بالنسبة للقصيدة الخالية من الشاعرية فإنّ الأمر مختلف تماماً، إذ أنّها تصبح حرفاً ميتاً يثير الملل وربما الغثيان في بعض الأحوال. وليس هذا أمراً تنقسم به قصائد صغار الشعراء بل عرفته الكثير من

قصائد كبار الشعراء في تاريخ الأدب العالمي . فالقصيدة التي
تفتقر إلى الشاعرية مخلوق مسخّ ثنائى وَلَدَ ميتاً .

يقودنا كل ذلك إلى سؤالٍ صعبٍ عن ماهية الشعر . ما هو؟
وكيف يمكن تعريفه ضمن الإبداعات الأخرى التي مارسها
الإنسان طوال مسيرته على ظهر هذا الكوكب ؟ ولا أخالني
أعدو الحقيقة إن قلت بأنه من أصعب الأشياء وأعقدها الوصول
إلى تعريف جامع مانع لماهية الشعر .. وذلك لأنّ الشعر روح
والروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً كما جاء في
محكم التنزيل . لهذا الاعتبار فإنّ الإنسان بوسعه أن يحلّل
قصيدة من القصائد من حيث الوزن والروي والقافية والمفردات
والإيقاع والصور والأخيلة والتناغم ومواطن القوة والضعف فيها
غير أنّ كل ذلك بالنسبة للقصيدة مسا هو لإطاراً خارجياً وليس
تعريفاً . «مبيدو نفس المصدر» . لهذا الاعتبار فإنّنا إن أردنا الاقتراب
النسبي من معنى الشعر فإنّنا نجده في الأثر الذي يخلقه في نفوسنا
ساعة التلقي . فالقصيدة التي تحدث في نفس القارئ نوعاً من
الصدمة التي تخرجه من ذاته لتلقي به في أحضان الأحلام، أو
تجعله يغوص بصورة أكثر عمقاً في تضاعيف نفسه، أو تجعله
يلامس الوجود أو القدر بصورة أكثر انغماساً وحِدّة، فهي قصيدة
تعكس في وضوح مدى الشاعرية التي تزخر بها .

إذ أن الشعر ليس هو الإطار الصارم الذي يوطر القصيدة أو الالتزام الكامل بالعمود والتصريع وما إلى ذلك أو «الكلام الموزون المقفى الذي يؤدي إلى معنى»، كما جاء في حديث قدامة بن جعفر الناقد .. فهو الروح التي تسكن كل ذلك وتتخطى كل ذلك في انطلاقها الأثيري المرف كأجنحة الفراشات، وهو في النهاية تكسير للعلاقات المتواطأ عليها بين الكلمات وخلق علاقات جديدة بينها، مما يشحن هذه المفردات بتيار كهربائي يصعق في ذهن المتلقي المسلمات القديمة المتصلة بعلاقات المفردات ببعضها البعض، وبالتالي يولد الدهشة والإمتاع والوقوع في أحضان الحلم بالنسبة للمتلقي . والكلمة في الشعر هي الإطار الذي يضبط الانفلات الخفيف للروح، ذلك السرحان، ذلك التيه واليهام إلى حدّ التلاشي في الأشياء . والكلمات في الشعر هي نظام في العلاقات يمسك الشاعر عن الخوض أبعد فيستعيده إلى العالم الترابي بعد أن كاد أن يفلت. «راجع نوري الجراح جريدة الحياة ١٦/١٢/١٩٩٦م».

شارل بودلير شاعر الخطيئة والتمرّد:

صوت من أصوات الحركة الرمزية التي عرفتھا فرنسا في القرن التاسع عشر . يدور حول محاورها وينطلق من منطلقاتها، غير أن له تفرده وشخصيته الخاصة به، وقاموسه اللغوي الذي أضفى على شعره خصوصية لا تنفصل عن التكوين الشخصي له

بكل ما يستوعب هذا التكوين من عوامل ومؤثرات، لا سيما وأنّ العمل الإبداعي هو قبل كل شيء جزء من كيان فني مستقل «هو عالم الشاعر الخاص قبل أن يكون ملمحاً لظاهرة عامة ذات سمات مشتركة . فالشعراء في كل زمان ومكان مهما يتفقون في الخصائص العامة للاتجاه الفني الواحد فإنه لا يمكن أن تُفقد نهائياً وبصورة قاطعة كل ملامح الفردية التي تشير إلى صاحبها وتدل عليه انظر د. عبدالحليم بلبع «مجلة الثقافة العربية ١٩٧٥م». لذلك فإنّ بودليز قد خلق بتفرده مدرسة فنية خرج من تحت معطفها العديد من الشعراء الكبار. وقد صار نتيجة لذلك أكبر شعراء الحضارة الأوروبية الحديثة المستشرقة للقرن العشرين «دائرة المعارف البريطانية : مادة بودليز».

ولد شارلس بودليز بباريس في التاسع والعشرين من أبريل عام ١٨٢١م ، وتوفي بها في الحادي والثلاثين من أغسطس ١٨٦٧م ، بعد عمر قصير لم يتجاوز السادسة والأربعين مليء بالضجر والحيرة والتمرد.

كان والده مشغولاً بهوموم الثقافة كما كان رساماً جيداً . ولهذا أخذ في تنشئة ابنه على تذوق جمال الأشكال والخطوط والألوان منذ حداثة سنّه ، الشيء الذي جعل منه في مستقبل حياته أكبر نقاد الفن في فرنسا القرن التاسع عشر . ومما لا شك

فإن قصيدته «مشاعل» تكشف إلى أي مدى كان مولعاً بالنقد الفني وبارعاً في مضماره ، فالخشد الضخم لأسماء الفنانين التشكيليين الذي احتوت عليه القصيدة يقف شاهداً على معرفته اللصيقة للإبداعات هؤلاء الفنانين ومواطن القوة والضعف فيها. وبعد أن توفي والده عام ١٨٢٧م وهو بعد في السادسة من عمره عكفت أمه على تربيته فأغدقت عليه الكثير من الحب والحنان والتدليل. غير أن هذه الجثة العامرة بالحب والحنان لم تدم طويلاً إذ أن أمه ما لبثت أن تزوجت من جنرال بالجيش الفرنسي مما جعل الصبي يحس بأن هذا الغريب قد دخل في حياته بصورة لم يجد لها مبرراً ليشركه قلب أمه . وقد كان ذلك أحد أسباب التعاسة التي أخذ يحس بها وهو بعد صبي لم يكمل عامه السادس. ولهذا السبب نفسه أصبحت مشاعره تجاه أمه خليطاً من الحب والضيق والشفقة والتعمر والكراهية راجع:

Intimate "ISHER WOOD" Journal : Charles
Baudelaire

وعلى الرغم من إعجابه لحد ما بزواج أمه الجنرال أوبيك إلا أنهما كانا عالين مختلفين يتحدثان لغتين مختلفتين تماماً، ولهذا استحال التفاهم بينهما على الرغم من أن الجنرال أوبيك كان حريصاً على تعليم الصبي الانضباط الذي أرسله من أجله عام ١٨٣٢م إلى مدرسة داخلية بمدينة ليسون . ولما انتقلت الأسرة

إلى باريس أرسله كذلك إلى مدرسة (لويس العظيم) في نفس المدينة . غير أنه ما لبث أن أصبح مثلاً للفوضى وعدم الانضباط وأخذ يبدو بمزاج دائم الحزن بعد أن ترسخ لديه شعور بأنه ذا طبيعة انطوائية . وقد قال عن نفسه حينذاك بأنّ روحه مشروخة ومتصدعة وأنّ قلبه منقبض ومغموم «يحبطه الشرّ والقبح والغباء». لهذا أخذ ينظر إلى المستقبل بالكثير من نخبة الأمل إلى درجة صار فيها يعتقد بأنّ العالم قد شارف على نهايته «نفس المصدر». لجملة هذه الاعتبارات، فقد أمضى حياته تعيشاً غير قادر على تخطي مآسيه فظل سجينها على الرغم من وصفه لها بأنها «النبيل الأوحده». فهو يجعل من المشكلات الحياتية مظهراً من مظاهر الألم الذي يلف حياة الإنسان . وهي دون أدنى شك نظرة مليئة بالسوداوية ولكنها لا تنزل بأيّ حال عن نفسيته المصابة بالكثير من الإحباطات بدءاً من المستوى الأسري . فالتمزق الشديد الذي عانى منه من جرّاء زواج أمه من الجنرال أوبيك ومشاركة الأخير في قلبها جعل بعض النقاد يتهمون به بقدة أوديب . وعلى الرغم من صحة أو عدم صحة هذا الزعم إلا أنّ سوداوية مزاجه ونفسه المتربة بالحسرات التي انعسكت على قاموسه اللغوي الذي تزخر مفرداته بكلمات مثل الحزن، الضجر، الظلمات، الكهوف، الهاويات، المخلوقات الخرافية، الدهاليز المظلمة، المقبرات، الموت، الدود، السم، السكين، الخنجر، الجرح،

الألم وما إلى ذلك من هذه المعزوفة المرعبة يرده بعض النقاد إلى الصدمة العاطفية التي تعرض لها في صغره من ارتباط أمه بالجنرال أوبيك .

غير أنه في حقيقة الأمر لم يكن شارل بودلير شخصاً سوى العقل. فقد جاء في إحدى اعترافاته ما يلي : كان جميع أسلافي مصابين بالجنون أو الهوس ... وقد مات جميعهم كضحايا لانفعالاتهم المختلفة «انظر سايمونز أرثر : خطابات بودلير لأمه». كما كتب أيضاً عن نفسه الكلمات التالية «كان لدي شعور غريب بالعزلة على الرغم من وجود أسرتي ورغم بقائي دائماً لوحدي أو حتى بين أقراني من الأطفال» «نفس المصدر» غير أن العقلاء بالنسبة لشاعرنا ليسوا أفضل حال من المجانين.

إلا أن ذلك لم يكن العامل الوحيد في تشكيل نفسية بودلير وملئها بالضجر . فقد لعب عصره هو الآخر دوراً هاماً في ذلك، كما لعب نفس الدور بالنسبة لنفسيات العديد من مبدعي زمانه في أوروبا القرن التاسع عشر، التي جعلت منها الثورة الصناعية وحمى التزاحم من أجل المستعمرات مجتمعات تطفئ من مرحلة الإقطاع إلى مرحلة الرأسمالية بعلاقات إنتاجها الجديدة، وتحكم الآلة فيها وتعتقد حياتها الاجتماعية والطبقية والقبح الذي خبرته المدن والتمدن والذي عرفته أطرافها . وقد أفرز كل ذلك الكثير من الحركات الراقضة . منها من آثر العودة إلى الطبيعة والارتقاء

في أحضانها كالحركة الرومانتيكية، ومنها من آثر الخروج على قيم ونظم المجتمع الرأسمالي الآخذ في التشكل والتمرد عليه بالاستغراق في الجنس وتعاطي المخدرات، وهي مجموعة من الشعراء عرفت في فرنسا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بشعراء الرذيلة. وقد ضمت تلك المجموعة عدداً من شعراء فرنسا حينذاك مثل بودلير وأرثر رامبو وفرلين. كما ضمت إدجار بو الشاعر الأمريكي، وأسكار وايلد الروائي، والكاتب الإنجليزي صاحب رواية «دوريان قراي» التي حوكم من أجلها بتهمة الخروج على القيم الأخلاقية للمجتمع الفيكتوري. وهي نفس التهمة التي لحقت بمعاصرة شارل بودلير في باريس عام ١٨٥٧م والتي علق عليها بودلير بقوله: «لم يكن بوسعي أن أكتب بطريقة غير تلك التي كتبت بها، إذ أن ما كتبت كان انعكاساً صادقاً لنفس مضطربة غائصة لقيعان الرذيلة». بالإضافة إلى ذلك فإن الثورة الصناعية الضخمة التي عرفتها أوروبا آنذاك قد جعلت الكثير من الشعراء والكتاب والفنانين ينزرون قليلاً عن العالم الخارجي، وينغمسون في عالمهم الخاص بهم بعيداً عن الرعب الذي تسببه الحياة الحديثة حتى لا تصلهم سوقية الرجل العادي. وقد شهد بودلير وأبناء جيله من الشعراء والأدباء والفنانين بزوغ فجر عصر البخار ذلك الفجر الكاذب المضاء بالغاز الصائب الضجيج بصوت الماكينات والإعلانات.. عهد

انعدم فيه الوفاء وزادت فيه الرشوة والفساد . وقد جاء في حديث لأوسكار وايلد قوله :

«إنّ هذا العالم شيء مخيف وأنّ الخطيئة الوحيدة التي لا تغتفر فيه تسمى : «الضجر». وقال كما قال أيضاً بودلير: «أن يكون الكتاب منسجماً مع الأخلاق العامة أو لا يكون لا يهم كثيراً ما يهم هو أن يكون كتاباً جيداً أو رديئاً» أوسكار وايلد: صورة دوريان قرأى ص ٢٥٩ .

وقد أراد بودلير كما أراد أوسكار وايلد أن يحرر الإنسان بجعل الفنان المثال المحتذى لذلك . ولتحقيق هذا الهدف فإنّ على الإنسان حسب مذهبه أن يبحث عن المتعة الحسية والجمال في جميع أشكاله كان ذلك خيراً أم شراً . لأنّ الفن بالنسبة له لا علاقة له بالأخلاق وأنّ كل الفنون ما هي إلا مظهر خارجي ورمز . وأنّ من يفوضون تحت سطحتها إنّما يخاطرون بأنفسهم لأنّ الفن يعكس المشاهد وليس الحياة. «وإن اختلف النقاد حول تقييم عمل إبداعي ما فإنّ ذلك يعني أنّ المؤلف كان متسقاً ومنسجماً مع نفسه». وقد قال جان بول سارتر بأنّ بودلير كان ممتلئاً بذاته إلى درجة الفيضان وأنه ينتمي كثيراً إلى شخصه فقط لكي يتسنى له التصرف كما يهوى والغوص عميقاً في نفسه إلى درجة الضياع . وقال عنه كذلك بأنّ حصافته الفطرية لم توظف من أجل التحقق من أخطائه ولكن من أجل

الامتلاك النهائي «للأنا» بواسطة «الأنا» . لهذا لم يكن إلا الشاهد الوحيد على نفسه، ومن هذا المنطلق فهو يحاول دائماً أن يكون جلاد نفسه بنفسه، إذ أن الألم والعذاب يولد ثنائية وثيقة الارتباط ببعضها البعض يستحوذ عبرها الجلاد على الضحية. وبما أن بودلير لم يستطع رؤية نفسه فلا أقل من أن يغوص في جراحه كما تغوص المديّة في الجرح، وذلك بأمل الوصول إلى العزلة التامة والعميقة التي ينشدها والتي تشكل الطبيعة الحقيقية لتكوينه النفسي والعصبي «سارتر : مقدّمة : أزهار الشرّ ١٩٦٤م».

وقد كان لعصبيته وتقلبات مزاجه السبب الأساسي في احتقاره للأخلاق والقيم البرجوازية وضيقة بما يصفه «بالغباء»، وقد قاده كل ذلك إلى سلسلة من المشاجرات مع أسرته وأصدقائه وشركائه .

رغم كل ما سبق، وربما بسبب كل ذلك فقد كان بودلير مغرماً بحياة الدعة والراحة وباغتناء فاخر الثياب والأثاث . كما كان عاشقاً للتجول والتسكع في الطرقات وارتياذ المقاهي والالتقاء بالشعراء والأدباء والفنانين فيها، فاغترف من ليل باريس كل الحرافات من إغراق في شرب الكحول وتعاطي الأفيون والحياة البذخية التي أضاعت كل ما ورثه من ثروة وكتبته بالديون طوال حياته . ولهذا كان شخصاً بالنسبة للعديد من

شعراء عصره مصاباً بما يعرف «بمرض النساك» أيّ ضعف الإرادة الذي كان سبباً في الكثير من انحرافاته. وكان مدمناً للتشرد والبهيمية في حوارى الحي اللاتيني بباريس وهو المناخ الذي ألهمه العديد من قصائده . ولعل من البديهي أن نقول بأنّ الشاعر - أيّ شاعر هو مخلوق مغامر غاوياً للحرية - يبقى جسده حراً طوع حواسه، وحواسه حرة لتتجذب نحو تلك الجهة الغامضة فيه بكل ما يسكنها، ويتحرك فيها من أصواتٍ لا تحقق لشعره دون الوصول إليها ولا وصول إليها دون الفناء فيها بما يشبه ذوبان الجزء في الكل عند المتصوفة «راجع نوري الجراح نفس المصدر».

بودلير والرحيل والبحر والعطور

كان بودلير أكثر شعراء عصره افتناناً بالرحيل والأسفار، إذ أنّ توقه الشديد للهرب من نفسه ومن القرن الذي عاش فيه جعلته في حنين دائم للسفن، فهو يرى فيها الجلال والبهاء والوسيلة التي يهرب بها إلى الجزر النائية والبحار العميقة :

فعندما تمشين محرّكة الهواء بتنورتك الواسعة الفضفاضة.

تتركين في النفس شعوراً شبيهاً بما تخلفه السفن المبحرة.

جميلة ومزهوة حينما تمخر العباب ...

ومنزلقة في اليم بأشرعتها المليئة بالرياح ..

في إيقاع هادئ، كسول وبطيء.

وعلى الرغم من أنه كان مقرراً أن تحمله السفينة في رحلة بحرية طويلة إلى كلكتا في الهند رتبها له الجنرال أويك بأمل أن تعينه على تغيير أسلوب حياته ومزاجه الحزين وأفكاره السوداوية، إلا أنه ما لبث أن غادر السفينة عندما رست في جزيرة الرينيون مؤثراً العودة إلى فرنسا . فقد كره البحر ورفاق رحلته على الرغم من أنه لم ينس طوال حياته الومضات المداوية التي تركت بصماتها في الكثير من أشعاره ، وعلى الرغم من حبه للبحر الذي يغوص في مياهه لكي يغوص في أعماق ذاته ملامساً الركن القصبي المظلم في دغل أحاسيسه الذي تنطلق منه شارات الإبداع والتوهج والغمغمات الخفية التي تشابه أصوات حوريات البحر عند هومريوس .

أيها الإنسان الحر الطليق إنك مغرم بالبحر ...

فالبحر في حركته اللانهائية وصفحته الوضاعة المصقولة ..

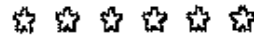
مرآة تنعكس عليها روحك ..

التي ليست أقل عمقاً ومرارة من البحر

ويقول في قصيدة أخرى :

عشتُ زمناً طويلاً داخل الأروقة الممتدة ..

حيث تسكُبُ الشمسُ البحريةُ آلاف النيرانُ
فتتصب أعمدتها الفخمة الملوكية ..
جاعلةً من المساء كهوفاً بازليةً ..
فاضطراب الموج في حركته الدائبة يعكس صفحة السماء
مازجاً في صورة احتفالية روحية ..
أصداءه المتناغمة وموسيقاه الثرية ..
بألوان الطيف الزاهية المنبعثة من عيني .



هنالك عشتُ غارقاً في اللذات الهادئة
في قلب الشفق والأمواج والبهاء ..
وفي وسط الأرقاء التمساء ..
العراة المشربين بالروائح النفاذة ..
المرطبين جبهتي بسعف النخيل ..
المعمقين في كياني الأسرار المؤلمة التي تضنني
وقد ناضل بودلير كثيراً عبر الارتقاء في أحضان الأحلام،
ومن خلال السخرية المريرة اللاذعة للخروج من متاهة روحه
المتصدعة وقلبه المحبط المثقل بالهموم . لهذا انكفأ على نفسه .

وانجمه نحو عالم مليء بالبخور والعطور المسكرة للحواس
والألوان الزاهية المدهشة والأنغام المتجاوبة في تناغم مسحور .

وحينها سأحلم بأفاني زرقاء ومضيئة ...

وبحدائق ونوافير باكية على تمائيل المرمر.

فيقول في قصيدة بعنوان «عطر» :

هل استنشقت ملء رئتيك أيها القارئ

هالاتِ عطر يفوح في أرجاء معبد ... ؟

أو من محفظةٍ للمسك مفتحةٍ الجنبات .. ؟

إنه سحرٌ عميقٌ تنتشى منه أرواحنا المبهورة .

ويعيد ماضي أيامنا ليعانق حاضرها في لحظاتٍ قصارٍ

كحال الحب الذي يقطف من تذكّار ..

زهرة حبة المنهار.

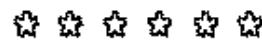
ويقول في مقطع آخر:

كان العطر يفوح من خصلاتٍ شعرها المطاطي الكثيف

كما يتصاعدُ الطيبُ الوحشيُّ الطليقُ من فوهاتٍ المباخر.

ويجيء قوله في قصيدة له بعنوان «العطر الغريب»:

إنني أستشوق رائحة نهديكِ السخيين ...
وأرى أمامي شواطئ رملية تنضجُ بالسعادة
يجهر ضوء الشمس الساطع فيها العيون.
أرى جزيرة كسولة تهبُ فيها الطبيعة
أشجاراً فريدة وثماراً تزخر بالرحيق
ورجالاً نحالاً أقوياء
ونساء يثرن الدهشة من نظراتهن الجريئة.



يقودني شذاك الفريد نحو أجوائك الساحرة
فأرى مرافئء تزدحم بالأشعة والصواري ..
المجهدة من أمواج البحر المتلاحقة الصخابة .



وحيثما يفوح عطر أشجار تمر الهند المخضرة
مخلفاً وراءه هالاتٍ عطرية تداعب الأنوف ..
يختلط في روعي الشذى بأغاني رجال البحر

جان دو فال وأخريات

كان بودلير مغرماً إلى درجة الهوس بعشيقاته الزنجيات من الرقيق الذي جلبه النخاسون من إفريقيا . فقد كان يجد لديهم دفع الشيطان الإفريقية وشموس المدارات الوضيعة ويشم في روائح أجسادهن وأنداءهن روائح العطور النفاذة الغريبة المختلطة بروائح الكاكاو وزيت النخيل وجوز الهند، ويستنشق ملء رئتيه عبر شعورهن الجعداء الكثة المطاطية الذي يحمله على أجنحة الأحلام إلى أراضي تغسلها الشمس وتعمرها الغابات وتفوح منها روائح الأسرار «إنك تعيدني لي الشفق والسماء الشاسعة المستديرة...» على شيطان شعرك الأزغب ذي الخصلات المتلوية المعقوفة.. «سأسكر بعمق من الروائح المختلطة..» لزيوت الكاكاو والمسك والقطران. إفريقيا البعيدة الغامضة. القارة السوداء .. تمبكتو النائية التي تلفها الأسرار ولا تصل إليها التكهّنات. الكثير والكثير من الأساطير التي حملها إلى أوروبا القرن التاسع عشر الرّحالة الأوروبيون، المغامرون الذين كانت توفدهم الجمعيات الجغرافية الفرنسية والإنجليزية والألمانية من أمثال مولان وريني كاي ودنهام وكلا برتون وبارت وناختيغال وغيرهم، ممن لبسوا عباءات رجال الدين المسلمين كجواز سفر وسمّة دخول عبر

بوابة الصحراء الكبرى . وقد كانت عشيقته الزلجية السوداء جان
دوفال التي أحبها كثيراً وتعلق بها «حيواناً جميلاً وكسولاً» .
كتب فيها أروع قصائده رغم استهلاكها معظم ثروته وخيانتها
له مع أصدقائه. غير أنها رغم ذلك صبرت كثيراً على أمزجته
المتقلبة وقراءته الشعرية التي يكرهها على سماعها دون أن تفهم
مضامينها . لهذا ظلت عشيقة له لمدة عشرين عاماً رغم أوقات
الفتور والهجران التي كانت تعترى تلك العلاقة من وقت لآخر .
وقد قال في إحدى اعترافاته بأنه سيندم كثيراً إذا ما أقدم على
فراق هذه المرأة .. فهي كما جاء على حدّ تعبيره ملهاته
الوحيدة ومتعته ورفيقة دربه رغم كل الصدمات التي أصابته بها من
جراء علاقاتها الآثمة مع الآخرين . انظر « Martin Turnell » .

فقد كان كل منهما في حاجة إلى الآخر . فهو يقول :

رغم ذلك أحييني أيها القلب الحاني وكولي أمأ ..

حتى للجاحد أو الشرير .

كوني عشيقة أو أختاً أو كولي العذوبة القصيرة العمر .

بخريف بهي أو شمس تأذن بالمغيب ..

ورغم كل حالات الهياج العصبي الذي يصبه على رأسها إلا
أنه ظل يحبها ويعطف عليها ويحاول جاهداً مساعدتها . وقد

ألهمته العديد من قصائد الحب التي كانت من أرق وأعذب
ماكتب من شعر . ففي إحدى قصائده يقول مخاطباً جان
دوفال : :

إلّني أعبدك يا طيشي الجميل وسُمي القاتل .
بكل انقطاع وإخلاص الرهبان لمعبوداتهم .

☆☆☆☆☆

الصحراء والغابة تعطران خصلات شعرك الأجدع الخشن
ورأسك المليئة بالطلاسم والأسرار ..
تترجح على مقعدك الوثير حيث يضوع العطر
كما تفوح العطور من المباخر .

☆☆☆☆☆

إلّك فاتنة كالمساء ..
يا حوريتي المظلمة الساخنة
وإنّ كافة المشروبات المركزة المثيرة للشهوة ..
لا تكافئ هذا الكسل الجميل الذي تبدينه .
يا من تجيدين المداعبات التي تنفخ الروح في الأموات .

إلك تمزقيني يا سمرائي الجميلة

بضحكتك الجريئة الساخرة

وتلهبي قلبي بعينيك الناعستين كالقمر

ويقول أيضاً في جان دوفال:

إنني أتعرف على زائرتي الحسنة ..

إنها هي .. سوداء ... ولكن باهرة الأضواء.

وعلى الرغم من كل ما تقدم ذكره، فإنّ بعض النقاد يعتقدون بأنّ قصائد بودلير الموجهة إلى جان دوفال لم تكن قصائد حب بقدر ما كانت قصائد جنس، إذ لم يكن محباً حقيقياً حسب اعتقادهم بقدر ما كان يجيد المداعبات التي تثير الشهوة لممارسة الجنس . غير أنّ الكثيرين يعتقدون في الوقت ذاته بأنّ بودلير قد استعاض بالفن عن الجنس و بالحب في معناه العريض كجوهر لا يموت ولا يعرف الحدود أو الأحادية.

غير أنّ مارتن تورنيل يرى أنّ بودلير قد اختار جان دوفال لتمكنه من ممارسة الجانب «المرضي» من نشاطاته الجنسية ، فأصبحت تبعاً لذلك « المخلوق الغريب » الذي يمكن أن يعبد ويمارس معه كل أفعاله الغريبة «انظر Martin Turnell».

ويرى تورنيل أنّ الجمع بين جان دوفال والأراضي التي زارها

في ما وراء البحار أثناء رحلته البحرية إلى جزيرة الرينيون حيث
الشموس المدارية والشيطان التي يغسلها الضياء، كان القوة المحركة
لماكينة الخلق الشعري في نفس بودلير . وقال مؤكداً بأن جان
دوفال قد لعبت دور المنشط في شحذ خيال هذا الشاعر.

ولم تكن جان دوفال الوحيدة التي هام بحبها وألهمته شعراً
عذباً. فقد التقى « في سرادق أغصان الأشجار الأرجوانية » و « عند
هينمات أشجار جوز الهند التي تثر النعاس في العيون » بامرأة
خلاسية « كريول » في جزيرة الرينيون ذات سحر أخاذ « وفتنة لا
يعرف لها مثيل » . وهو يؤكد بأنها إذا جاءت إلى فرنسا أرض
السين واللوار « ستكون زينة للبنايات الفخمة العتيقة وستزرع آلاف
القصاصد في قلوب الشعراء » . فهو يخاطبها بقوله:

إذا ما ذهبت أيتها السيدة إلى أرض المجد الحقيقي .

عند شيطان السين واللوار الأخضر .

ستكونين زينة للبنايات الفخمة العتيقة .

وستزرعين في الظلال المعتمة ..

آلاف القصاصد في قلوب الشعراء ..

المدعين لحسنك الأسر كما يدعن في بلادكم الأرقاء .

الضجر والزمن والميتافيزيق

كان بودلير يبنى بأخيلته قصوراً فيما وراء البحار ، قصوراً
تعمرها نساء شبقات وقطط غامضات تشع من أعينها الكثير من
النظرات الغامضة الخيفة . ويهبط إلى قاع الجحيم باحثاً عن
الأزهار التي يعشقها إلى درجة الهوس . ويستخلص الجمال من
الشر والقبح كما يستخلص الكيميائي الذهب من الصخور.
ويستل لحظات السعادة والمرح من اندلاق المصائب على رأسه
المسكونة بالهواجس . فقد جاء قوله في قصيدة له بعنوان
«الصوت»:

أحب بالحنان كله البحر والصحراء .

وأضحك في المآتم وأبكي في الأفراح

أيتها الديدان السوداء الفاقدة الأعين والآذان

ها قد جاءك ميتٌ حرٌّ وسعيدٌ

والموت بالنسبة لبودلير هو العزاء الذي يدفع للحياة ، وهو
أملها الوحيد والإكسير الذي يتفرعها ويهبها المقدرة على السير
حتى (المساء) . فهو - أي الموت بالنسبة لبودلير - خلاص من
الضجر الذي ينخر أيامه، وانطلاقاً وحرية وسعادةً لروحه من قيود
الطين، وعنت الحياة التي عاشها منفياً داخل مجتمعه شبيهاً بطائر

البطروس أمير الآفاق الذي يرتاد العواصف ويهزأ من نبل الصياد.
إلا أن ثقل جناحيه الضخمين المجرورين يكبل خطاه ويجعله
محل سخرية «الأوغاد». وبودلير هنا أكثر عمقاً وأبعد فلسفة من
الشاعر الإنجليزي كولردج الذي ذكر طائر البطروس في قصيدة
له بعنوان الملاح العجوز. فبينما يتخذ بودلير من هذا الطائر رمزاً
لمكانة الشاعر بين «الأوغاد» يستخدمه كولردج لتكملة فسيفاء
الصور التي تذخر بها قصيدته العامرة بالملاح الرومانطيقية. ففي
قصيدة بودلير يشبه شاعرنا في مرارة حال الشاعر أيّ حال
نفسه وسط أبناء جلدته بحال هذا الطائر البحري العملاق، عندما
ترمي به المقادير على ظهر سفينة فيصبح ملك الآفاق هذا ملهاة
وسخرية لرجال البحر.

وما أن تحط قدميها على سطح سفينة...

حتى تهر ملوك الآفاق هذي...

في رعوّة تدعو للثناء..

أجنحتها الضخمة البيضاء

كما تنجر المجاذيف على جانبي قارب.

☆☆☆☆☆

إنّ الشاعر شبيه بأمير الآفاق هذا.

يرتاد العواصف ويهزأ من نبل الصياد
منفي في الأرض بين الساخرين والأوغاد
يعوق خطاه ثقل جناحيه الضخمين المجرورين

كان له أيضاً شعور حاد بالزمن وضرورة استغلاله إلى أقصى حدّ ممكن ، لأنّ الزمن يأكل الحياة كما تأكل النار الحطب ويقوي من دماء ضحاياها المسفوحة. ولهذا وجب على المرء أن ينغمس في الملذات الحسية لأنّ العمر محدود والموت متربص على الأبواب ، وعبر هذه الملذات يستطيع السمو إلى المطلق وإلى ما وراء الوراء وبهذا تصبح هذه الانحرافات ضرباً من التصوف. ففي قصيدة له بعنوان «ساعة الجدار» يجيء قوله :

تذكّروا أنّ الزمنَ لاعبٌ بارعٌ ونهيمٌ ..

يكسبُ دونَ غِشٍّ وفي كل الأوقات

تذكروا أنّ الأيام تتناقص والليالي تزدادُ

واللجة ظامئةٌ وساعةُ الماءِ في جفافٍ

وفي قصيدة أخرى يقول :

أعلنت الساعة منتصف الليل ...

ساخرةً ومستهزئةً بنا .

تسألنا عما صنعنا في يومنا الذي القضى !!!

☆☆☆☆☆

وفي قصيدة له بعنوان « العدو » يقول :
ها أذا قد لامستُ خريفَ الأفكارِ
وتوجبَ عليَّ استخدامَ الفأسِ والمولِ
لأتمكن من حيازة الأراضي المغمورة من جديدٍ
رغم الأخاديد العميقة التي تنخرها المياه كالقبورِ .

☆☆☆☆☆

أيتها الرائحة .. أيتها الرائحة .. إنَّ الزمنَ يأكل الحياةَ
والعدو الغامض الذي يقضم قلوبنا
ينمو ويقوي من دمائنا المسفوحة
ويقول أيضاً مخاطباً الزمن :
إنَّك تلتهم كل لحظة قطعة غالية من مباهجنا المدخرة
للمواسم المقبلة .

وعلى الرغم من حمأة الرذيلة التي غاص فيها شاعرنا حتى
القيعان والانحرافات التي قادته إلى إدمان الخمر وتعاطي الأفيون
والانحراف في الجنس إلى درجة أقعده فيها مرض السفلس، إلا أنَّ

شارل بودلير كان في الوقت ذاته شاعراً ميتافيزيقياً وعميق التدين رغم عدم احترامه الظاهري للمقدسات مما أزعج كثيراً رجال الدين . فقد كانت معرفته للأشياء تنطلق من رؤية صوفية عميقة ومتجذرة في ذاته . فاستطاع عبر رؤاه صنع عالم خاص به شاسع كالروح وزاهي كالأحلام يغوص من خلاله لماهية الأشياء ليعكسها صوراً مركبة بديعة الشكل والمحتوى . وكان عالمه الخاص به يهبه دنيا من الانعكاسات المتحررة عن المادة متمثلة في الإشارات التي تربط بين الحقائق كما تربط بين الهواجس وعالم ما وراء الطبيعة . لهذا كان موقناً بأن الحقيقة لا توجد إلا في الحلم وأن الأشياء المادية لا تقود إلا للحقيقة المادية المائلة، أما الحلم فإنه يقود إلى ما فوق الطبيعة وفوق المألوف . ولكي يصل شاعرنا إلى هذه المرحلة من التفكير حيث يصير العالم المادي أكثر مدلولية كان عليه أن يعيش وسط الأحلام والذكريات ويستخلص اللحظات السعيدة من بين المآسي والضجر كما جاء في حديثنا آنفاً . إذ لم يكن الطريق الذي يقوده إلى الإشارات المفتاحية لعالم الميتافيزيق بآية حال هو الوجود المادي للأشياء ، وإنما الحس المرهف والشفافية المطلقة والجهاز العصبي الكامل العرى . فالعطور النفاذة التي تداعب أنفه تمنح روحه وملكاته الإبداعية التوهج والانطلاق والمخاض الشعري . فهو يقول في قصيدة بعنوان « قارورة عطر »:

إتھا ذات عطر قوي ینفد من کل الأشياء

حتى لکآله ینفلت من جدوان الزجاج

فالعطر الفواح یکشف له الأسرار الكامنة فی جوهر الأشياء
وبنفس القدر، فإن کافة الأحاسیس التي تخترق الإنسان حتى
مخ الأعظم وتتسرب إلى أعماقه الأكثر ظلاماً تؤلم بودلیر ولا
تترك عصبه من أعصاب جسده دون ارتجاف. إذ أن اللذة تختلط
لديه بالعذاب وكلاهما وسیلة للولوج إلى الکنه الحقیقی للعالم
ولی السر الذي تنطوي علیه الأشياء. فهو لا یصل إلى المعرفة
عن طریق العقل أو عبر الأفكار التجريدية ولكن عن طریق القلب
والحدس المرتبطان بالدين وعالم ما وراء الطبيعة. وهو فی ذلك
شبيه بباسکال الذي أعبته الحیل للوصول إلى حقيقة الحقائق من
خلال العقل فاتجه إلى القلب والحدس مطلقاً قوله الشهيرة
«لتصمت أیها العقل الأحمق». لهذا كانت کافة مظاهر الطبيعة
بالنسبة لبودلیر ما هي إلا رموزاً لوجود الله ومن خلال تأملها
والتفکر فیها یمکن الوصول إلى الخالق.

تقدسیت یا إلهی ، یا واهب الألم المقدس ...

ترياقاً مطهراً لخطایانا

ورحیقاً شاحداً فینا القوة لتلقي الإمتاع المقدس .

فألله يختص الشاعر بمكانة مميزة و يدعوه لحضور عرس
الأضواء ، والاحتفال السرمدي الذي لا تعادل بهاءه لألىء البحار
والخليء المفقودة من عهد «تدمر القديمة» لأنه منسوج من الأنوار
الشعشعانية الخلابة، فيقول :

اعلم أنك تختص الشاعر بمكانة مميزة ..

في صفوف السعداء من زمرة القديسين .

وإنك قد دعوته للاحتفال السرمدي ..

للعروش والفضائل والملوك المطلق .

فالعطور والألوان والأصوات والصور يحس بها بودلير كأشكال
متعددة للروح . ولهذا فالوصول بالنسبة له يتم عبر الأحاسيس كما
يتم من خلال الرغبات الشهوانية والأفعال الشريرة . وعلى الرغم
من أن هذا الطريق مدان حسبما تواطأ عليه البشر، إلا أنه
بالنسبة لشاعرنا يفضي في نهاية المطاف إلى عالم الروح إذ أن
الوصول إلى عالم الأضواء يتم بالنسبة له عبر عالم الغيب
والدياجير والأحاسيس والأفكار المظلمة. وهذا ضرب من ضروب
الاشتغال بعلم الباطن. ألم يجمع الشيخ الهميم بين الأختين كما
جاء في طبقات ودُضيف الله أو يقوم البعض بأفعال فاضحة كما
يفعل « الملامتية» ، وبقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق كما فعل
الخضر عليه السلام . فكل ذلك لون من ألوان علم الباطن كأخذ

النفس بالشدة ولبس الصوف وأكل الجراد البري في الصحراء .
وقد وصل بودلير عبر كل ذلك إلى وحدة الوجود . فجميع
الطرق وكافة المذاهب والأديان تقود إلى حقيقة الحقائق وهو في
ذلك شبيه بالسهروردي الذي مات شهيداً على أعواد معتقداته
كما مات هو الآخر على صليب ضجره بين الآخرين . من
جانب آخر فهو يدرك معنى الخطيئة ومعنى السقوط والانزلاق
إلى حماة المعصية، ويعرف كيف أن الشيطان يمسك بالخيوط
التي تحرك أفعاله وتقود خطاه نحو هوة الجحيم :

إِنَّ خطايانا عنيدة وتوبتنا جبانة ..

وإنّا ندفع ثمناً باهظاً لقاء اعترافاتنا ..

ثم نعود ثانية فرحين عبر نفس الطريق الموحد
ظانين أن دموعنا الصفيقة كافية لغسل أدراننا

☆☆☆☆☆

على وسادة الشر إنه الشيطان ذلك المخلوق القدير ..

الذي يخترق عميقاً أرواحنا المسحورة

فيتبخر معدن عزائنا الصلب بفعل ذلك الكيميائي البارغ

☆☆☆☆☆

إنه الشيطان الذي بيديه الخيوط التي تحركنا

نحو كل الأفعال القبيحة التي تسير إليها أقدامنا
وتتحدّر كل يوم جديدٍ خطواتنا نحو الجحيم
دون وجل وعبر الظلمات التي تفوح منها روائح العفن .



لهذه الاعتبارات يحاول بودلير دائماً الصعود إلى الخالق .
والتمرد على شراك المادة فيوجه الرمزي نحو السماء. ولهذا
اتسمت بعض قصائده بالروح الدينية الإيمانية والطمع في العفو
الإلهي، ويرى Jean Prevost أن بودلير ظل يبحث عن
الوحدة عبر التنوع، وأنّ المجهودات التي بذلها تؤكد مدى امتزاج
ذاته ومظاهر الكون الأخرى، بالذات الإلهية لهذا يصبح كل
شيء بالنسبة له شاهداً على وجود الله وطريقاً يقود إليه «ص ٢٦» .
فهو لهذا السبب يوجه شعره للعاطفة والأحاسيس كما ذكرنا
آنفاً مما يجعله مليحاً بالرموز. فعالم الانعكاسات يصبح عالماً للرموز
حيث كل إشارة انعكاساً لشيء آخر. فالروح يمكن أن تسافر
على نخصلات الشعر وعلى أجنحة العطور حيث يمكن رؤية كل
شيء والإحساس بكل شيء.

أيّها الشعرُ الكثُ المتموجُ خلفَ العنقِ ..

أيّها النخصلاتُ، أيّها العطر المليء باللامبالاة ..

أشعرُ برغبةٍ في إعمارِ الكهفِ المظلمِ هذا المساءُ ..

المليء بالذكرياتِ النائمةِ في هذه الخصلات ..
أريدها أن ترف في الهواء كما ترف المناديلُ على الشرفات.

☆☆☆☆☆

آسيا المجهدة وإفريقيا ذات الغليان
كلُ العالم البعيدِ الغائبِ شبيه الأموات ..
يحيا في أعماقك السحيقة أيتها الغابة المليئة بالنسغ والرحيق.
ومثلما تهيم الأرواح وتسبح في أنغام الموسيقى.
تسبح روحي يا حبيبتى في عطرِكَ الجميل.

☆☆☆☆☆

أيتها الخصلات المحكمة الضفرف ..
كولي المصيدة التي ترفعي
لأنك تحتوين - يا بحر الأبنوس - على أحلام مدهشة ..
من الأشعة والمجاذيف واللهيب والصواري

☆☆☆☆☆

ويقول في قصيدة أخرى :
ها هو ذا قد أقبل موسمُ تفتح الأزهار ..
حينما تفوحُ كل زهرةٍ كما يفوحُ العطرُ من مبحر ..

وتختلط الأنغام بالشذى مخلفةً هالاتٍ عطريةٍ في نسيم
المساء.

☆☆☆☆☆

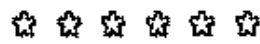
كل زهرة تفوحُ كالعطور من المباخر ..
والكمنجة ترتعش كالقلب المترع بالأحزان
ويقول في قصيدة أخرى مخاطباً حبيبته:
إنَّ عينيك وابتسامتك وقدميك ..
قد أشرعت لي أبواب العالم اللانهائي الذي أعشقه.

☆☆☆☆☆

وتصبح العطور لديه شيئاً مادياً محسوساً وطرياً كلحم
الأطفال وكأعالي الغابات ... وذات لون أخضر كالبراري III
والرغبة في بلوغ المطلق تجد ما يروى غليلها أيضاً في
الفضاء الرحيب وفي الغابات والبحر والعطور والنساء. فهذا
«البحر الأبنوسي» يحتوي على أحلام مدهشة وعلى دفق من
العطور والألوان والأصوات. فعبر الأحاسيس المرفقة يمكن
الوصول إلى اللذة شبه المقدسة ومن المادة تنبعث الروح بيضاء
صاعدة للسماء.

فوق المستنقعات وفوق الأودية ..

فوقَ الجبالِ والغاباتِ والسحابِ والبحارِ ...
وخلفَ الشمسِ والأثيرِ ..
وراءَ الأجواءِ المرصعةِ بالنجومِ ..
تتحركُ رُوحِي في خفيةٍ ورشاقةٍ ..
كما يفعلُ السَّباحُ الماهرُ بين الأمواجِ ...
وتعبرُ في مَرَحٍ غامرٍ هذا الفضاءَ الرحيبَ العميقَ .
سعيدٌ ذلكَ الذي يستطيعُ بجناحينِ قويينِ ..
أنْ ينطلقَ نحوَ مروجِ الضوءِ الصافيةِ الشفافةِ .
وسعيدٌ ذلكَ الذي يُحومُ فوقَ الحياةِ ..
ويفهمُ من دونِ ما عناءٍ ..
لغةَ الأزاهيرِ وصمتَ الأشياءِ .
خطاهُ نحوَ الجحيمِ .



ففي هذه الأبيات التي أوردناها نرى بودلير غارقاً في بهجة وحبور
لا حدود له، يتحرر فيه من القيود الأرضية التي تكبله ومن العقبات التي
تقف أمامه والكبوات التي تقود مسيرة. فالحلم بالتحليق في حد ذاته
محاولة اللاوعي للتخلص من الحفر التي يسقط فيها كلما حاول المشي.

«عيناه معلقتان بالسمااء فيسقط في الحفرة».

إنه شاعر قابع في الثرى بينما تخلق أفكاره في الثريا. ولكن، على الرغم من حركة الصعود والرقى إلى سماوات علا تجعله يحلم بالأبدية، وإلى الفضاء الرحيب والبحار الشاسعة، إلا أننا نرى في الوقت ذاته حركة هبوط نحو الأسفل والغوص في ما وراء الوراء. فهو حينما يضم حبيبته إلى صدره يخيل إليه بأنه يستنشق عطر الدماء التي تجري في عروقها: عندما أحتويك بذراعي يا مليكة المعبودات ..

يُخيلُ إليّ أنني أستنشق عطرَ الدماءِ التي تجري في عروقك.

وعندما ينكفيء على حبيبته ليشرب حتى الارتواء من سحر عينيها السوداوين، فهو في الوقت ذاته يغرق كل يوم جديد وتنزل خطاه نحو الجحيم.

وعلى الرغم من أن السماء الصافية والفضاء الشاسع تحرران روحه الحزينة المليئة بالضجر، إلا أن السماء تتشح في بعض الأحيان بظلام كثيف يتحول إلى هوة عميقة لتبتله. فهي شبيهة بكهوف الحزن التي لا قرار لها وتارة أخرى شبيهة بالقيود.

غير أنه رغم كل شيء يجد الراحة في ظلام الليل الدامس ويتمرغ في «ستائر الظلمة المنعشة» ليريح نفسه من ضوء النهار بجلبته وضوضائه .

إنه محكوم عليه بالأشغال الشاقة، فهو شبيه برسام «حكمت عليه

الآلهة بالرسم في الظلام». لهذا فهو ينسحب إلى العالم السفلي لينكفىء على ذاته غير قادر على النظر إلى الأمام للعثور على الطريق القويم . فهو فريسة للوساوس والضجج الذي يعتصر قلبه كما يفعل المرء «بالورقة الملقاة في سلة المهملات».

إنه شبيه بالبحر الذي يتأمل فيه روحه وتؤكد له حقيقة أن روحه ليست أقل مرارة من أجاج الملح. إنه يمارس الغوص في البحر لكي يغوص في ذاته. وهو كالبحر مظلم ومنكفىء على أسرارهِ.

فالبحرُ في حركته اللانهائية وصفحته الوضاءِ المصقولة ..

مرآة تنعكس عليها روحكُ

التي ليست أقل عمقاً ومرارةً من البحرُ

إنك مفتون بالغوص إلى أعماق ذاتك

أما الطبيعة فهي بالنسبة لشاعرنا معبد وعالم من الانعكاسات وغابة من الرموز. فهو يلتقط أحاديثها المتداخلة المتشابهة دون أن يعجز عن على فك طلاسمها ، وهي في كثير من الأحيان إشارات غامضة وسريّة. فالأسرار التي ينطوي عليها الكون مضافة إلى التقزز والاشمئزاز الذي يخلفه الواقع المضجج في نفس بودلير فضلاً عن المرض الذي شل حركته وحطم نفسه، هي التي جعلته يحس بالحاجة الماسة لما هو روحي والتي قادته في نهاية المطاف إلى الإغراق في الرمزية المليئة بالإشارات. فروحانيته المفرطة التي أفرزها هذا الواقع المرير قد جعلته يبصر انعكاس ما هو خفي على ما هو مرئي وما هو أثيري معنوي على ما هو محسوس مادي. وقد أغرقه كل ذلك في قدرية وجبرية لا حدود لهما. فلا يقرر

شيئاً لئلا يفقد أشياء أخرى في ظلمات الوجود ولا يذهب في هذه
الظلمات المفضية إلى عالم الميتافيزيق بأكثر مما يجب على الإنسان
بلوغه، فهي تابو لا يجب تجاوزها وسير أغوارها وسدرة منتهى يجب
التوقف التام والنهائي على أعتابها خوفاً من الاحتراق كما يحترق طائر
الفينيق على أعتاب بعلبك.

خاتمة

بعد هذا الطواف والمسح الذي أردنا به الكشف عن بعض الملامح الشعرية والجوانب النفسية لشاعر الخطيئة والفجعية والتمرد شارل بودلير الذي خرجت من تحت معطفه المدرسة الرمزية في الشعر، فإننا نقول بأن حياته كانت مأساة بطولية لرجل حاصرته الكثير من الإخفاقات التي ناضل بشراسة للخروج منها . فالقلق العميق من مواجهة الحياة ومن مواجهة الموت والشعور بالخطيئة والشعور بالتمرد في آن واحد قد تركت بصماتها واضحة على كل نتاجه الشعري . وبصرف النظر عن جدلية الخير والشر التي أدينت بسببها بعض قصائد ديوان «أزهار الشر»، إلا أن بودلير قد قدم للعالم شعراً جديداً جميلاً يصيب بالدهشة من أول الالتقاء به. شعراً كان له الفضل في تثوير حاسة التلقي والإمتاع لدى القارئ وفي طريقة التفكير والكتابة في غرب أوروبا. فقد أصبحت نظريته الجمالية نقطة تحول في تاريخ الشعر والأدب والفنون التشكيلية بصفة إجمالية، وكما قال فيكتور هوجو فقد خلق بودلير «رعدة جديدة في الشعر» تصيب المتلقي من أول لقاء

به. نخلص من كل ذلك إلى ما قال ISHERWOOD من أن
بودلير كان فيلسوفاً في الحب رغم ضجره بالنساء، وثورياً رغم
احتقاره للجماهير بسوقيتها وضوضائها، وأرسقراطياً رغم
اشمئزازه من الطبقة الحاكمة .. فقد كان نسيج وحده شاعراً
متفرداً عظيماً وفناناً مبدعاً كبيراً.

كلمة أخيرة، أودُّ القول بأنّ ليس في كثير مما قمنا بتعريبه
من أشعار بودلير ما ينقل في تطابق تام النص الأصلي باللغة
الفرنسية . ونعترف كما ذكرنا سابقاً بأنّ ترجمة الشعر من لغته
لأم إلى لغة أخرى تفقده الكثير من الحرارة والعمق والعذوبة التي
يتحلّى بها . لهذا فإنّ ما قمنا به عمل لا ندّعي له كمالاً ولا
يحق لنا فكلنا خطاؤون إلا من عصم الله. ولك العتبى حتى
ترضى .

مراجع

- 1/ Encyclopidea Britanica.
- 2/ Balba "Abd Elhalim": Journal of Arab Cuttore 1975.
- 3/ Durry "Marie-Jeanne": Les Fleurs du Mal "1972" Journal 1957.
- 4/ Isherwood "christopher": Charles Baudelair: Intimate.
- 5/ Oscar Wild: Porteraif of Dorian Graye.
- 6/ Nouri "Jarrah" Al Hayat News Paper 16.12.96.
- 7/ Pomidou "georges" Anthology de la Poesie Francaise.
- 8/ Prevost "Jean": Baudelaire La Creation et L'inspiration Poetiques "Mereure France".
- 9/ Sartre "Jean Paul": Les Fleurs Du Mal "1967".
- 10/ Symons, "Arthur": Letters of Baudelair To His Mother.
- 11/ Turnell "Martin": Baudelare a study of His Poetry.

بعض قصائد من أزهار الشر

رسالة إلى القارىء

إنَّ الغباءَ والخطيئةَ والإثمَ والبخلَ ...
تسيطرُ على أرواحنا وتعملُ أجسادنا
وإنَّا لنغذي حشراتنا الحييةَ ...
كما يغذي الشحاذون الهوامَ التي ترعى في أجسادهم.

☆☆☆☆☆

إنَّ خطايانا عبيدةٌ وتوبُّنا جبانةٌ ..
وإنَّا لنُدفع ثمنًا باهظاً لقاءَ اعترافاتنا
ثم نعودُ ثانيةً فرحين عبرَ نفسِ الطريقِ الموحدِ ...
ظانين أنَّ دموعنا الصفيقةَ كافيةٌ لغسلِ أدراننا ..

☆☆☆☆☆

على وسادةِ الشرِّ إنَّ الشيطانَ ذلك المخلوق القديرُ
الذي يخرقُ عميقاً أرواحنا المسحورةَ .
فيتبخر معدنُ عزائِمنا الصُّلبُ بفعلِ ذلك الكيميائي البارِعِ .

☆☆☆☆☆

إنَّه هو الشيطانُ الذي بيديه كلَّ الخيوطِ التي تحركنا
نحو كلِّ الأفعالِ القبيحةِ التي تسيرُ إليها أقدامنا
وتتحدَّرُ كلَّ يومٍ جديدٍ خطواتُنا نحو الجحيمِ
دون وجلٍ وعبرِ الظلماتِ التي تفوحُ منها روائحُ العفنِ

☆☆☆☆☆

وهكذا يفعل الداعرُ الفقيرُ الذي يضاجع ويعض الثديَّ الشهيدَ
لعاهرةٍ شمطاء

إنَّا جميعاً نتطلع إلى لذةٍ عابرةٍ في الخفاءِ.
نعتصرها بقوةٍ كأنَّها برتقالةٌ قديمة.

☆☆☆☆☆

متلاحمة ومتدافعة كأنَّها ملايينُ الديدانِ
أمواجُ الشياطينِ المتحركةِ في عقولنا
وعندما تنفسُ فإنَّه الموتُ الذي ينزل من رئيتنا ...
كأنَّه نهرٌ خفيٌّ صامتٌ الشكوى

☆☆☆☆☆

ولئن كان الاغتصابُ والسُّمُّ والحِجْرُ والحريقُ ...

لم تُزوق حتى الآن بألوانِ زاهية ورسمٍ بديع
فإنَّ اللوحات الساذجة لتقوي قلوبنا
تفصحُ بكلِّ أسفٍ عدم نضجنا الروحي

☆☆☆☆☆

ولكن بين الثعالب والفهود والقمل
والقردة والعقارب والنسور والحيات
والوحوش العاوية الصارخة الزاحفة
داخل آثامنا الدليمة المقززة
فإنَّ هنالك من هو أكثر بشاعةً وأكثرُ خبثاً وقذارةً
رغم كونه مستكيناً دون حركةٍ أو صُراخٍ
جاعلاً من الأرض حطاماً ونيابٍ
وبوسعه ابتلاع العالم في شهقةٍ واحدة :
إنَّه الضجرُ !!!

العين المليئة بالرعب اللاإرادي ...
الحاملة في ارتخاء على منصة الإعدام وخلف دخان
التراجيل

وأنت تعرفه أيها القارئ المنافق ..
يا شيهي يا أخي إله الضجر

☆☆☆☆☆

تخليق

فوق المستنقعات وفوق الأودية ...
فوق الجبال والغابات والسحاب والبحار ...
وخلف الشمس والأثير ...
وراء الأجواء المرصعة بالنجوم .
تتحرك روعي في خفة ورشاقة
كما يفعل السباح الماهر بين الأمواج
وتعبر في مرج غامر هذا الفضاء الرحيب العميق ..
فالتخلق أيها الشاعر في الفضاء بعيداً عن روائح النتن
المريضة
ولتذهب لتظهر نفسك في الأجواء العلوية النقية ..

مرتشفاً النارَ الوضاعةَ التي تملأ الفضاءَ ..
كما يُرْتَشَفُ البَيْدُ المقدسُ
وخلف الضجرِ والأحزانِ الواسعةِ الممتدة ..
التي ثقل كاهلَ الوجودِ الضبابي ..
سعيدٌ ذلك الذي يستطيع بجناحين قوين ..
أن ينطلقَ نحو مروج الضوِّ الصافيةِ الشفافة ..
محلقةً رؤاه كما تحلق طليقة القُبُرات ..
وسعيدٌ ذلك الذي يُحَوِّم فوق الحياه ..
ويفهم من دون ماعناء ..
لغة الأزاهير وصمت الأشياء .

الموسيقى

كثيراً ما تحملني الموسيقى كموج البحر ..
نحو لجمي الشاحب البعيد ..
وتحت سقف من الغيوم أو في طيات الأثير ..

أنشرُ أشرعتي وأعد سفيني للإبحار ...
صدري للريح ورثتي في امتلاء الشراع ...
أتسلقُ ظهرَ السفنِ القابعة خلفَ سدوفِ الليل ..
وأحس ديبَ الحزنِ المتمددِ في أعماقي ...
كحزنِ سفينِ معطوبٍ في وسطِ البحر ..
الريحُ الطيبةُ والعاصفةُ الهوجاءُ ...
وهذي الأمواهُ الممتدةُ دونَ حدودٍ ...
تُهدِئُني ...
بعد أن كانت مرآةً هادئةً تعكسُ إحباطي ويأسي ...

عطر

هل استشقت ملء رثتيك أيها القاريء ..
هالات عطر يضوعُ في أرجاء معبدٍ .. ؟
أو مِنْ مِحْفَظَةٍ للمسكِ مفتحة الجنبات ... ؟
إنه سحرٌ عميقٌ تنشئ منه أرواحنا المبهورة

وَيُعِيدُ ماضِي أَيْامِنَا لِيَعَانِقَ حَاضِرَهَا فِي لَحْظَاتِ قِصَارٍ ...
كَحَالِ الْحُبِّ الَّذِي يَقْطِفُ مِنَ التَّدْكَارِ ...
زَهْرَةَ حَبِّهِ الْمُنْهَارِ.

☆☆☆☆☆

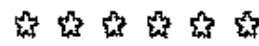
كَانَ الْعَطَرُ يَفْرُحُ مِنْ خِصَلَاتِ شَعْرِهَا الْمَطَاطِي الْكَثِيفِ ...
كَمَا يَتَصَاعَدُ الطِّيبُ الْوَحْشِيُّ الطَّلِيْقُ مِنْ فُوهَاتِ الْمُبَاخِرِ
وَمِنْ ثِيَابِ الْغَمَلِ أَوْ الْحَرِيرِ ...
الزَاهِيَةِ بِشَبَابِهَا الْغَضْرِ وَحُسْنِهَا الْآسْرِ ..
تَفْرُوحُ رَائِحَةُ الْفَرَاءِ مُمْتَزِجَةً بِطِيبِ الْمِسْكِ وَدُوحِ اللَّيْلِ

☆☆☆☆☆

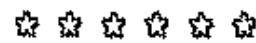
الباطروس

لَكِي يَزْجُونَ أَوْقَاتَ فَرَاغِهِمْ يَتَلَهَّى رِجَالُ الْبَحْرِ
بَطَيُورِ الْبَاطَرُوسِ تِلْكَ الْخُلُوقَاتُ الْبَحْرِيَّةُ الضَّخْمَةُ .
الْمُرَافِقَةُ الْكَسُولَةُ لِحَوَائِي الْبَحَارِ

حينما تشق سفنهم عُباب البحر وأجاج الملح ..
وما أن تخط قدميها على سطح سفينة
حتى تنجر ملوك الآفاق هذى
في رعولة تدعو للثناء ...
أجنتها الضخمة البيضاء ...
كما تنجر المجاذيف على جالبي قارب.



ياله من أحرقٍ وضعيفٍ هذا المسافرُ المنجح ..
لقد كان قبل وقتٍ وجيزٍ يكسوه البهاء ...
وهو الآن قبيحٌ ومثيرٌ للضحك وللثناء .
أحدهم يمعن في مضايقة بمداعباته السخيفة المؤذية ...
والآخر يومئ إليه ويتبعه هازئاً من عجزه المهيض ..



إنَّ الشاعرَ شبيهٌ بأمرِ الآفاقِ هذا ..
يرتادُ العواصفَ ويهزأ من ليل الصياد ..
منفيٌّ في الأرض ...

وبين الساخرين الأوغاد ...
يعوق خطاه ثقل جناحيه الضخمين المجرورين

☆☆☆☆☆

البحر

أيها الإنسان الحر الطليق إنك مغرم بالبحر
فالبحر في حركته اللانهائية وصفحته الوضاء المصقولة
مرآة تنعكس عليها روحك ...
التي ليست أقل عمقاً ومرارة من البحر .
إنك مفتون بالغوص إلى أعماق ذاتك ...
لتقبل عينيها وساعديها ويتشى فؤادك ...
يايقاع ضرباته كما يتشى بهذه الضوضاء الشاكية
الوحشية.

إن كليكما مظلّم ومنكفىء على أسرار
أيها الإنسان لم يقدر أحد على سبر أغوارك .

أيها البحر ليس بوسع أحد معرفة الكنوز الكامنة في
أحشائك.

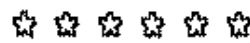
إنّ كليكما غيورٌ على مكنون أسراه .
ورغم ذلك فقد مضت قرونٌ لا حصر لها ...
وأنتما تتقاتلان دون شفقةٍ أو حسرة ..
لأنكما مغرمان بالمعارك والفتن .
أيها المتصارعان الأزليان والتوأمين الشرسان.

الشرفة

أمّ الذكرياتِ وسيّدة السيداتِ ...
يا مخدعٌ مباهجٍ ومستودعٌ أشغالي ...
أتذكرين بهجة المداعباتِ وجمالها ..
أتذكرين دفء الأحضانِ وسحر الأمسياتِ ..
يا أمّ الذكرياتِ وسيّدة السيداتِ.

☆☆☆☆☆

الأمسيات المضاءة باحتراق الفحم ...
أمسيات الشرفة التي يضمخها عير الورد ..
لقد كان ثديكِ ناعماً وشهياً مثل قلبك المليء بالطيبة ..
وكانت ثرثرائنا التي لا تنتهي ذكريات لا تعرف الفناء ..
أيها الأمسيات المضاءة باحتراق الفحم ..
يا جمالِ الشמוש في الأمسيات الدافئة
ويا لعمق الصمتِ وانتشاء القلب ...
عندما احتريك بذراعيّ يا مليكة المعبودات ...
يخيل إليّ بأنّي أستشقُ عطرَ الدماءِ التي تجري في
عروقك
يا جمالَ الشמוש في الأمسيات الدافئة

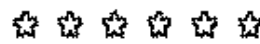


لقد أظلم الليلُ كأنما أسدلتُ على الكونِ ستارةً كثيفةً ..
وعيناي تقودان خطاك في الظلمةِ المطبقةِ قماماً كما تفعلُ
عيناك ..
وتشربان من أنفاسك العطريةِ حتى الارتواء ...

أيُّها النعومةُ الساحرةُ والسُّمُّ الزعافُ .
لقد ظلّ قدماك يرقدانِ على راحتيّ كما تَركنُ اليمامةُ إلى
كفِ طفلٍ ..
وظلّ الليل يزداد ظلمةً كأنّما أُسْدِلَتْ على الكونِ ستارةٌ
كثيفةٌ ..



أعرف جيداً فنون الأثارة عند اللحظات السعيدة
وأعيش بعمق أحداث ماضي الجائية بين ركبتك
إذ .. ماذا يفيد البحث عن جمالك الهادىء الحزين ...
بعيداً عن جسدك وخارج قلبك الحبيب



هذه الوعود وهذه العطور النفاذة وهذه القبلات التي لا
تنتهي ...

هل تنبعث من هوةٍ سحيقة تستعصي على الاستقصاء ؟!!
كما ترقا في السماء الشمس المشرقة .. ؟
بعد أن تستحم في قيعان البحار العميقة.

أيتها الوجود .. أيتها العطور النفاذة ... أيتها القبلات التي
لا تنتهي .

☆☆☆☆☆

أهيك هذه الأشعار ليتسنى لاسمى
أن يخلد يوماً في ذاكرة التاريخ والحقب القادما .
ويعلا بالأحلام والرؤى عقول الناس .
جاعلاً منها سفينة ممتلئة الأشرعة بالريح الشمالية .

☆☆☆☆☆

إذ ذكراك شبيهة بالحكايات الخرافية
فهى ترهق الحواس كما يرهق الضجيج الأذنين .
وبسلسلة روحية ودودة ...
تعلقني على قوافي المزدراء .

☆☆☆☆☆

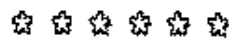
من تجيء اللعنة .. هل تأتي من هوةٍ سحيقة .. ؟
أم من عليا السموات ... ؟ لا شيء خارج ذاتي يستطيع
الإجابة ..

يا أنت يا شبيهة الظلال التي لا تدوم طويلاً ..

فالتسيري على قدمين خفيفين ولتظري بعينين صافيتين
إلى أولئك الحمقى الذين يصفونك بحر المذاق .
أيها التمثال ذو العينين السوداوين يا ملاكي المعدني
العظيم.

أغنية خريفية

قريباً سوف تغوص في سجة البرد والظلمة
فوداعاً إذن أضواء الصيف قصيرة العمر
الآن قد طرق سمعي ...
ارتطام الخطب المدوي على السوح والطرقات.



سينسرب كل فصل الشتاء إلى داخل كياني ...
غضباً وكراهية ورعشة ورعباً وأشغالاً شاقة ...
وكما الشمس في جحيمها القطبي ...
سيصير قلبي كتلة حمراء ومتجمدة .

إِنِّي أَسْمَعُ فِي رَعْشَةِ صَوْتِ كُلِّ الْأَغْصَانِ الْيَابِسَةِ
الْمَتَساقِطَةِ...

فَمِنْصَةِ الْإِعْدَامِ الَّتِي نُصِبْتُ لَيْسَ لَدَيْهَا صَدَى أَكْثَرَ اخْتِصَافًا..
إِنَّ رَوْحِي شَبِيهَةٌ بِالْبَرْجِ الَّذِي يَهْوَى ..
تَحْتَ ضَرْبَاتِ الْمُنْجَنِقِ الْمُتَعاقِبَةِ الْكَثِيفَةِ.
يَخِيلُ إِلَيَّ وَأَنَا أَتَأَرْجِحُ مِنْ وَقْعِ الصَّدْمَةِ الرَّتِيبِ ..
كَأَنَّمَا يَسْمُرُونَ عَلَى عَجَلٍ تَامٍ تَابُوتًا فِي مَكَانٍ مَا.

☆☆☆☆☆

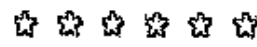
لِمَنْ .. ؟ بِالْأَمْسِ كَانَ الصَّيْفُ وَهَذَا قَدْ أَقْبَلَ الْخَرِيفُ..
وَإِنَّ هَذِهِ الضَّجَّةَ الْغَامِضَةَ تَرِنُ كَمَا تَرِنُ لِحِظَةُ الرَّحِيلِ.

☆☆☆☆☆

إِنِّي أَحْبَبْتُ النُّورَ الْأَخْضَرَ الْمَشْعُ مِنْ عَيْنِكَ أَيُّهَا الْجَمَالُ
الْهَادِئُ

غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ غَدَا لِي الْيَوْمَ أَكْثَرَ مَرَارَةٍ مِنَ الْمَلْحِ ...
وَحَتَّى حَبْلِكَ وَالصَّالُونَاتِ وَالْمَدْفَنَاتِ لَا تَسَاوِي بِالنِّسْبَةِ لِي...
أَشْعَةُ ضَوْءِ الشَّمْسِ الْمُنْعَكِسَةِ عَلَى خَدِّ الْبَحْرِ.

ورغم ذلك أحييني أيها القلب الحاني وكوني أما ..
حتى للجاحد أو الشرير ..
كوني عشيقاً أو أختاً أو كوني العدوّة القصيرة العمر ..
لخريف بهي أو شمس تأذن بالمغيب



مهمة قصيرة ... فالقبر ينتظر فاغراً فاه في شوه ...
فدعيني أضع جبهتي على ركبتيك ...
لأتذوق في حسرة طعم الصيف الوضاح الدافئ ...
فالشعاع الأصفر الهادئ قادم من الفصل المنصرم .

مغيب الشمس

كم هي طازجة وجميلة حين تشرق الشمس ..
مرسلة لنا كالانفجار تحتها الصباحية ..
سعيد ذلك الذي يُحظى برؤية مغيبها الأكثر روعة من
الحلم .

أذكر أنني رأيت الزهرَ والنبعَ والحِثَّ
مغشياً عليه تحت عين خفاقة كالقلب.
فدعونا نستبق نحو الأفق ... فالوقت قد أزف .
لنمسك بشعاع فالت من قبل أن يجف.

بركات من السماء

صوبَ السماءِ حيثُ ترى عيناه عرشاً عظيماً ..
رفع الشاعرُ يديه الضارعتين ..
وأطلق من روحه البروقَ المشعة الصاهية ...
لتُخفي عن الأنظارِ توتره وانفعالاته الغاضبة.

☆☆☆☆☆

تقدس يا إلهي .. يا واهب الألم المقدس .
ترياقاً مطهراً لخطايانا ..

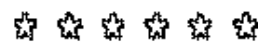
ورحيقاً شاحداً فينا القوة لتلقي الأمتاع المقدس .

☆☆☆☆☆

أعلمُ أنك تختص الشاعر بمكانة مميزة
في صفوف السعداء من زمرة القديسين
وأنت قد دعوته للاحتفال السرمدي ..
للعروش والفضائل والملوك المطلق ..
أعلمُ أنَّ الألم هو النبل الأوحى ..
حيث لا أرض ولا جحيم ..
حيث أصنعُ تاجي الروحي ..
وأفرض الأزمنة التي أريدُ والعوالم التي أشتهي ..
غير أن الحلى المفقودة منذ عهد «تدمر» القديمة ..
والمعادن المجهولة ولأليء البحار ..
التي أبدعتها يداك ..
لا تعادل هذا البهاء الأخاذ ...
لأنه منسوج من الأنوار الشعشعالية الخلابه ..
القادمة من نبع الإشعاع الحقيقي المقدس
لتقف أمامه عيوننا الفانية
وكأنها مرايا معتمة وبائسة.

مشاعل

(روبنز) نهر النسيان وبستان الخمول
وسادة اللحم الطري حيث يستحيل الحب
رغم النسياب الهواء في السماء والبحر في البحر
(ليونارد دافنشي) ... مرآة عميقة وداكنة
حيث الملائكة الساحرة بابتسامتها العذبة
ملينة بالغموض إذ تبدو واقفة تحت الظلال
محاطة بالثلوج وأشجار الصنوبر متشابكة كالسياج.



(دميراندت) مستشفى حزين مليء بالغمغمات ..
وصليب ضخم يتدلى من على الجدران
الصلوات والدموع تنبعث من بين أكياس القمامة .
ومن شعاع شتائي مبتور.
(مايكل أنجلو) .. أمكنة غامضة حيث يرى هريكوليز

يتمزجُ بالمسيح ثم يتصب واقفاً
أشباحُ قوية في دكنة المساء ..
تمزقُ أكفانها بأظافرِها المدببة الحادة.

☆☆☆☆☆

(كولير دي بوكسير) ... وقاحةُ المتسكعين في الطرقات .
أنت الذي عرفتَ كيف تستبطن الجمالَ من القبح
أيُّها القلبُ الكبيرُ المليءُ بالغرورِ ...
أيُّها الحزين يا ملك الحكومين بالأشغال الشاقة.

☆☆☆☆☆

(واتسو) .. كرفالُ القلوبِ المضطربة ..
كالفراشاتِ المرفقةِ المتوهجة
زينةٌ بهيئةِ مضاءةٍ بالثرياتِ
التي تسكبُ الجنونَ على هذا الحفلِ الراقصِ
الدائرِ حولَ نفسه.

☆☆☆☆☆

(قويا) .. كابوسٌ مليءٌ بأشياءَ مجهولة

أشياءَ نيفةٌ تُطهى في محفلٍ ليليٍّ للساحراتُ ...
صورُ عجائزٍ منعكسةٌ على المرأةِ وأطفالٍ عراةٍ.

☆☆☆☆☆

هذه اللعناتُ وهذا النحسُ وهذه الشكواتُ
هذا الجذبُ وهذا الصراخُ وهذي الدموعُ
أصداءُ تردها آلافُ المآهاتُ
إنَّها للقلوبِ الفانيةِ أفيونٌ مقدسٌ.

☆☆☆☆☆

إنَّها صرخةٌ يردها آلافُ النواطيرُ
وتطلقها آلافُ مكبراتِ الصوتِ
إنَّها شعلةٌ متوهجةٌ على آلافِ القلاعِ
لنداءِ صيادينٍ مفقودينَ في غابةٍ ملتفةٍ الأغصانُ

☆☆☆☆☆

إنَّها خيرٌ دليل - يا إلهي -
على أنَّه بوسعنا أن نُعطي من كبريائنا
وأنَّ هذا النحيبُ المتواصلُ عبرَ الأزمانِ ..

سيتتهي يوماً إلى زوالٍ عندَ شطْرِ أبديتك

الخصلات

أيها الشعرُ الكثُ المتموجُ خلفَ العنقِ
أيّتها الخصلاتُ، أيّها العطرُ المليءُ باللامبالاه ..
أشعرُ برغبةٍ في إعمارِ الكهفِ المظلمِ هذا المساءُ ...
المليءِ بالذكرياتِ النائمةِ في هذه الخصلاتِ
أريدها أن تَرَفُ في الهواءِ كما تَرَفُ المناديلُ على
الشرفاتِ.

☆☆☆☆☆

آسيا المجاهدةُ وإفريقيا ذات الغليان ..
كل العالمِ البعيدِ الغائبِ شبيهِ الأمواتِ ..
يحيا في أعماقكِ السحيقةِ أيّتها الغابةُ المليئةُ بالنسغِ
والرحيقِ .

ومثلما تهيم الأرواح وتسبح في أنغام الموسيقى

تسبح روعي يا حبيتي في عطرك الجميل.

☆☆☆☆☆

سأذهبُ إلى هناك حيث الأشجارُ والرجالُ مليئون
بالرحيقُ

لأنّشي طويلاً بالأجواءِ الدافئةِ المعطاءة ..

أيتها الخصلاتُ المحكّمةُ الضفرِ كوني المصيدة التي ترفعي ..
لأنّك تحتوين - يا بحر الأبنوس - على أحلام مدهشة

من الأشربة والمجاذيف واللهيب والصواري

المرقأ الصاحبُ حيث تشربُ روعي ..

فيضاً من العطر والأنغام والألوان .

وحيث تنزلُ السفنُ في التبر والألق

فاتحة ذراعيها لاحتضانِ المجد

الراقد في السماواتِ الصافية حيث يرتعش الدفءُ الأزلي.

☆☆☆☆☆

سأدفنُ رأسي المدمنة السُكّر

في هذا البحر الأسود حيث يتغلق الآخرُ

وأنّ روحي الخاذقة التي تداعبها التموجات
ستعرف كيف تجد طريقها إليك أيّها الكسلُ العامرُ بالخصبِ
لتغوص لما لا نهاية في الملذات المضمخة بالطيوب.

☆☆☆☆☆

شعرٌ أزرق، بناءً مظلمةً ممتدة
إلك تعيدني لي الشفقَ والسماءَ الشاسعةَ المستديرة
على شطآن شعرك الأزغب ذي الخصلات الملتوية المعقوفة
سأسكر بقوة من الروائح المختلطة ..
لزيت الكاكاو والمسك والقطران

☆☆☆☆☆

دائماً ولوقت طويل ستغوص أصابعي في شعرك الكث
الأجعد

لتزرع فيه الياقوت واللؤلؤ والصفير
لتظلين مشتعلة الأحاسيس حينما يحين موعدُ رغبتني.
فأنتِ واحة أحلامي وريّ ظمائي .
ودني الذي أحسسى من فيضيه نيلَ الذكريات.

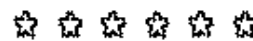
انسجام المساء

ها هو ذا قد أقبل موسمُ تفتح الأزهار ..
حينما تصوغُ كل زهرةٍ كما يضوعُ العطرُ من المبحرُ ...
وتختلطُ الأنغامُ بالشذى مخلقةً هالاتٍ عطريةٍ في نسيم
المساء...

شبيةً برقصةٍ حزينةٍ ودوارٍ خفيفٍ.

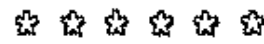


كُلُّ زهرةٍ تصوعُ كالعطورِ من المباحرُ..
والكمنجةُ ترتعشُ كالقلبِ المترعِ بالأحزان..
رقصةً حزينةً ودوارٌ خفيف..
وسماءٌ محزونةٌ وجميلةٌ كمدبحٍ كبيرٍ للقرايين ..

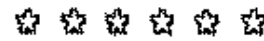


كمنجةٌ ترتعشُ كالقلبِ المترعِ بالأحزان..
قلبٌ حنونٌ يغضُ العدمَ الشاسعَ والظلمةَ الحالكة ..

والسماءُ محزونةٌ وجميلةٌ كمذبحٍ كبيرٍ للقرايينُ
والشمسُ غارقةٌ في دمايها الآخذةِ في التجمدُ

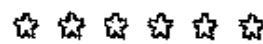


قلبٌ حنونٌ يغضُ العدمَ الشاسعَ والظلمةَ الخالكةَ ..
ويَقْطِفُ من الماضي المضيءِ كلَّ ما تبقى من مباحٍ ..
فالشمسُ غارقةٌ في دمايها الآخذةِ في التجمدُ ...
وذكراكِ تُشعُّ في داخلي كما تتوهجُ الصحفُ النادرةُ.



طعم العدم

أيتها النفسُ الحزينةُ يا من كنتِ عاشقةً للصدامِ
فالأملُ الذي كان يكبحُ من جماحكُ
لم يعد يقهركِ .. فالتهدئي من دون حياءِ
أيتها المهرةُ العجوزُ كثيرةُ الكبواتِ



لتعزل يا قلبي ولتتم في سباتِ الوحوش

☆☆☆☆☆

أيتها النفس المقهورة المنهكة ..

أيتها النفس المغوارة العجوز ...

لم يعد للحبِ طعمٌ كما لم يعد للشجارِ طعمٌ .

وداعاً ... إذن ... أيتها الأغنيات النحاسية

وداعاً .. إذن .. أيتها الشهادات المزمارية

فلا تقربي أيتها البهجة هذا القلبَ المظلمَ الحزين ..

فالربيع الحبيب لم يعد له نفس الشذى ونفس اللحون.

وسواس

أيتها الدغلُ الكثيفُ إنك تخيفني كالكتدرائيات.

إنك تعوى كما يعوى الأرعن ..

فتجاوب الأصداءُ في قلوبنا الملعونة ..

حيث غرفُ الحزنِ الأبدي المرتعشة بالآهاتِ القديمة.

☆☆☆☆☆

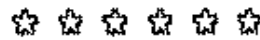
إنني أكرهك أيها المحيط الممتد..
أكره صخبك وحركتك التي لا تهدأ ..
إنّ روحي تجد كل ذلك في دواخلها ..
هذه الضحكة المريرة كضحكة المهزوم ..
المليئة بالنحيب والحسرة والإهانة ..
إنني أسمع كل ذلك في الضحكة العملاقة للبحر.

☆☆☆☆☆

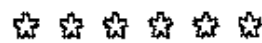
كم ستعجبني أيها الليل بدون هذه النجوم...
إن ضوءها يتحدث لغة مفهومة..
وإنني أبحث عن الحواء والسواد والعُرى..
غير أنّ الظلمات هي الأخرى لوحات..
تعيش فيها متدفقة من عيني ..
آلاف الكائنات التي تخفى على الآخرين .

العطر الغريب

عندما تكون عينايا مغمضتان في مساءٍ خريفي دافئ ..
فإنني أستشق رائحةً لهديكِ السخيين ..
وأرى أمامي شواطئ رمليةً تنضجُ بالسعادة
يجهر ضوءُ الشمس الساطع فيها العيونُ



أرى جزيرةً كسولةً تهبُّ فيها الطبيعة
أشجاراً فريدةً وثماراً تزخرُ بالرحيق ..
ورجالاً لحالاً أقوياء ..
ونساءً يثرن الدهشةً من نظراتهن الجريئة



يقودني شذاك الفريدُ نحو أجوائك الساحرة
فأرى مرافئءَ تزدحمُ بالأشعةِ والصواري ...
الجهدة من أمواج البحر المتلاحقة الصخابة.

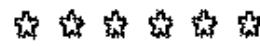
وحينما يضوعُ عطرُ أشجارِ قمر الهندِ الخضرةِ
مخلفاً وراءه هالاتٍ عطريةٍ تداعبُ الأنوفَ..
يختلطُ في روعي الشدى بأغالي رجالِ البحرِ.

إلى امرأةٍ شجاعةٍ

إنَّ قدميكِ ناعمانِ كراحتي كفيلتُ
وردفكُ مستديرٌ يثير الغيرةَ لدى أجمل الشقراواتِ
فهو للفنانِ الغارقِ في الأفكارِ رسمٌ بديعٌ ونادرُ
وعيناك الرحبتانِ العظيمتانِ ..
تبدوانِ أكثر سواداً من بشرتكِ اللامعةِ السوداءِ

في موطنك الدافئِ الأزرقِ حيثِ رأيتِ الضوءَ ..
كنتِ تقومينِ بإشعالِ الغليونِ لسيدك الأمرِ
وبسكبِ الماءِ العذبِ العاطرِ في الأكوابِ

وتدبين عن الخدع أرتال البعوض وجموع الحشرات
وحين تغني أشجار السرور لضوء الفجر
تستيقن الخطو لشراء الموز وأصناف الأناناس
وحيثما تشائين كان قدماك الحافيان ..
يقودانك في دندلة خفيفة بأشعار قديمة ومجهولة ...
وعندما يلفك المساء بعباءته القرمزية
تستلقين في هدوء الطفل على الحصير
لتظل أحلامك سابعة ورفرافة كالعصافير
رشيقة وردية كفرعك الناضج بالشباب



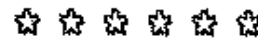
لماذا رَغِبْتَ أيتها الطفلة الجميلة في الهجر لهذه الديار
لهذه الأرض المكتظة بالأنفس المظمورة في العذاب
لِمَ ارتهنت حسنك الغض لجائبي البحار ..
ولماذا رَغِبْتَ عن ظلال جوز الهند في النهار
لتقبلين نصف عارية لهذه الشلوج والصقيع .
ستدبين كُلَّ ساعات الفراغ الهائلة البريئة.

حينما يلتف حول نحصرك الحزامُ القاسي كالوحوش.
أجبرتِ على التقاطِ خبزٍ عيشكِ في ديارنا ..
وبيع عطركِ الفائح من مفاثك الغريبة
فالعين المتأملّة المرافقة لك في ضبابنا القدرُ
تبعثر لها الأشباح الكامنة في أشجار جوز الهند الغائبة.

عينا برت

بوسعكما أن تزدريان أكثرَ العيون شهرةً في الكون .
يا عيني طففتي الراشح والمنفلت منهما ما لست أدري له
كنهاً...
سوى كونه جميلاً وناعماً كهداة الليل.
أيتها العينان الجميلتان ... فلتسكبان عليّ من سوادكما
الأخاذُ
يا عيني طففتي الواسعتين الغامضتين كلغز معبود...
إنكما شبيهتان بالكهوفِ السحرية...

حيث تلتصع وراء ركام الظلال الكسولة..
الكثيرُ من الكنوزِ النادرةِ المجهولةِ.
لطفلي عيان غامضتان، عميقتان ورحيبتانُ
شبهتان بك أيها الليلُ الفسيحُ ومثلُكَ عامرتان بالأضواءِ
نيرانهما مشاعرُ الحبِ المختلطة بالإيمانِ.
المتلافة في الأعماقِ في إثارةٍ أو عفافِ.



حزن القمر

الليلة ظلّ القمرُ^(١) يداعبُ أحلاماً ناعسةً وكسولةً...
كامرأةٍ مستلقيةٍ على وسائدٍ وثيرةٍ
ساهيةٍ تداعب نهدِها في خدرٍ ولعاسٍ

(١) القمر في اللغة الفرنسية مؤنث، وعلى الرغم من أنني استهلّيت القصيدة به مذكراً كما هو الحال في اللغة العربية إلا أنني عدت لتأنيته في المقطعين الثاني والثالث انسجاماً مع النص الأصلي، إذ أن تذكيره سيفقد القصيدة الكثير من الطلاوة بل ويهشم الصور التي رمى إليها الشاعر. المترجم

☆☆☆☆☆

وعلى ظهر الثلج الرخو الناصع الصقيلُ
راحت ناعسةً في إغفاءاتٍ تطولُ .
عينها الفاترتان تجولان في البياض ...
الصاعدِ في الأفق كأنه أزهارُ
وعندما ترقدُ أحياناً في ارتخائها الكسولُ
زارقة في الخفاءِ دمةً مخزونة ...
يمد الشاعرُ المدمنُ للسهر ...
كفه الراحشة لاحتضان ضوئها المشع مثل نادر التحف
لضمه في القلب بعيداً عن أعين الشموس

لوحة طبيعية

لكي أنظم أشعاري الريفية المذاق ..
أود أن أستلقي بالقرب من السماء كما يفعل الفلكيون ..
وأجاور الأجراس لأستمع حالماً إلى رنينها
وتجاوب أصداؤها الطائرة على أجنحة الهواء.

☆☆☆☆☆

يداي على جيبني ناظراً من على مرصدي
إلى ذلك المشغل المائج بالضوضاء والغناء ..
العامر بالمندخات والأجراس والصواري التي تزحم في المدينة
الهواء .

متأملاً في الفضاء العريض الدافع للحلم بالأبدية.

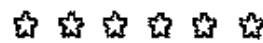
☆☆☆☆|☆☆

كم هو جميل أن ترى عبر الضباب كيف تولد النجوم ..
وكيف تلتهم الفوانيس على النوافذ ..
وكيف تصعد ألهار الفحم الطرّق إلى السماء ..
وكيف يسكب القمر ضوءه الشاحب الخلاب ..
سأرى فصول الربيع وفصول الصيف والخريف ..
وعندما يُقبلُ الشتاءُ بثلجه الداعي للملل ..
سأغلقُ جميعَ الأبوابِ والنوافذ ..
لأصنع في الظلام قصوري المسحورة الغامضة .
وحينها سأحلم بآفاق زرقاء ومضيئة .
بحدائق ونوافير باكية على تماثيل المرمر .

وقبيلات وعصافير لا تكف عن الغناء صباحاً ومساءً.
سأحلم بكل ما في هذه الأشعار الريفية من طفولة
بعيداً عن الصراخ الذي لا ينفذ عبر زجاج أحلامي ..
وسأغوص عميقاً في هذه اللذة الجامحة..
مستعيداً دفء الربيع ومطلقاً الشمس من قلبي ..
وصانعاً من أفكارى المشتعلة طقساً دافئاً وبديعاً.

ساعة الجدار

أيتها الوثنُ المشؤومُ البشعُ ..
يا من تهددنا إصبعه صائحه .. (تذكروا) .
إنّ الآلامَ المصطرعةَ في قلوبكم المليئةَ بالرعبِ
ستنقرسُ فيكم كما تنقرسُ السهامُ في مراميها ..



وتتبخر الملداتُ وتهرب صوب الآفاق البعيدة ..
كما تفعل المخلوقاتُ الخرافية في أعماقِ الممراتِ المظلمةِ
إنّك تلتهمُ في كل لحظةٍ قطعةً غاليةً من مباحنا

المدخرة للمواسم المقبلات.

☆☆☆☆☆

تذكروا أنَّ الزمنَ لاعبٌ بارعٌ ونهمٌ.
يكسب دون غش وفي كل الأوقات.
تذكروا .. أنَّ الأيام تتناقص والليالي تزداد..
واللجة ظامئةٌ وساعةُ الماءِ في جفافٍ.

☆☆☆☆☆

أحياناً تدق الساعةُ في لحظات صفاءٍ سماويةٍ..
حيث المثلُ العليا في كامل طهرها وعذريتها
والندمُ يصبحُ آخر المخطات التي تقول لنا:-
موتوا أيُّها الجبناء لا يرفع الدم.

أغنية ما بعد الظهيرة

رغم أنَّ حاجبك يدوان شريرانُ
ورغم أنَّك تبدين في هيئة غريبة..
ليست كهيئة الملائكة ذات عيدين صافيتينُ

ولكنّها كهيئة الساحرات ذوات العيون المشعة الشريرة
فلأنتي أعبدك يا طيشي الجميل وسمي القاتل
بكل القطاع وإخلاص الرهبان لمعبوداتهم.

☆☆☆☆☆

الصحراء والغابة تعطران خصلات شعرك الأجدد الحشن
ورأسك المليئة بالطلاسم والأسرار ..
تترنح على مقعدك الوثير حيث يצועع العطر
كما تצועع العطور من المباخر .
إنك فاتنة كالمساء ..
يا حوريتي المظلمة الساخنة.

وإنّ كافة المشروبات المركزة المشيرة للشهوة
لا تكافيء هذا الكسل الجميل الذي تبدينه
يا من تجهدين المداعبات التي تنفخ الروح في الأموات.

☆☆☆☆☆

إنّ ردفك مولع بظهورك الجميل وتهديك الشامخين...

وأنت تسعدين بارتخائك المثير كلَّ وسائلِ الريشِ ووسائلِ
الحريرِ.

وأحياناً عندما تودين إطفاءَ شهوتكِ المتأججةِ الغريبةِ
فإنَّك تفرطين في العضِّ والقبلاتِ

☆☆☆☆☆

إنَّك تمزقيني يا سمراثي الجميلةُ
بضحكتك الجريئةِ الساخرةِ
وتُلهبين قلبي بعينيكِ الناعستينِ كالقمرِ.

☆☆☆☆☆

فتحتِ حذائكِ الجلدي الصقيلِ ..
وتحت قدميكِ الحريريَّينِ الساحرينِ
صببتِ كلَّ مباحجي وأفراحي..
ووضعتِ كلَّ ملكاتي ومصير حياتي

☆☆☆☆☆

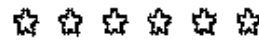
لقد شفيتِ كلَّ جراحاتي وعذاباتي روحي
أيتها السابحةُ في الضياءِ المترعةُ اللونِ.
المتفجرةُ الدفءِ في صحراءِ حياتي الباردةِ المعتمةِ ...

القطّة

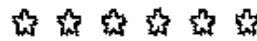
تعالى إلى قلبي المولّه يا قطتي الجميلة
واحفظي عليك أظافر قدميك
ودعيني أغرق في عينيك الجميلتين ..
عينيك المنسوجتين من المعدن والعقيق
فعندما تُداعبُ أصابعي رأسك وظهرك المطاطي ...
تتشبي يدي وهي تُلامسُ جسدك الكهربائي ...
وترى عينا روحي خيالَ امرأتي
بنظراتها التي تشبه نظراتك أيتها القطّة الحبيبة...
في عمقها وهدوئها الجارح كالسهم..
وبعطرها الضائع الذي يلف جسدَها الأسمر..
بدلالة شفافة من أخمص القدمين حتى الرأس.

الجيفة

أتذكرين ذلك الشيء الذي رأيناه سوياً يا حبيبتى
في ذلك الصباح الصيفي الهادئ ... ؟
تلك البغي التي ترقدُ في منحى الطريق ..
على سريرها المرصع بالخصى .



فخذان مفتوحان للهواء كامرأةٍ شبيهة.
تتلظى رغبةً وتتصببُ عرقاً ساماً.
كاشفةً في إجهادٍ وسخرية...
عن بطنها المتفخخة بالغازاتِ النسنة



أتذكرين كيف كانت تسلجُها الشمسُ بأشعتها المحرقة
كأنما تودُ أن تُنضحَ لحمها المتخثر النتن
معيدةً بذلك إلى الطبيعةِ مائة مرة ..
كلّ ما نسجته من أمشاج ولحم وعظام.

ورغم ذلك فإنك شبيهة بهذه الجيفة
شبيهة بهذا التحلل الخيف..
نعم يا نجمة عيني وشمس روحي
نعم يا ملاكي ومبعث إلهامي

☆☆☆☆☆

نعم .. هكذا ستصيرين يا مليكة الرحمة
في أعقاب الصلوات الأخيرة.
حينما ترقدن تحت العشب والأزهار الكثيفة
بصورة أبدية بين العظام.

☆☆☆☆☆

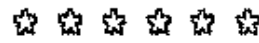
وحينها قولي - يا حلوتي - للديدان
التي ستأكل شفاهك الرقيقة
بأنني قد احتفظت بالشكل والجوهر المقدس...
لحي التحلل الموات.

حسراتٌ بعد الموتُ

حينما تنامينَ يا حبيبتى السوداءَ الجميلة ..
في قاع مقبرةٍ مشيّدةٍ من الرخام الأسود ..
وحينما لا تملكين في مخدعك الترايبى ..
غير نفقٍ رطبٍ وحفرةٍ عميقة ..



وعندما تضغط الحجارة على صدرك الخائف
وعلى فخذكِ الطريين المجهدين
ويصمت قلبك عن الخفقانِ والرغبات ..
وقدماك تمسكان عن الجري وراء المغامرات



فإن مقبرة أحلامي التي لا تنقضي ..
حيث يعدم النوم في الليالي الطويلة
ستقول لك ماذا يفيدك أيتها الفتاة اللعوب
بأن لا تعرفين ما يبكي الموتى ..
إنه الدود .. الذي سيقضم لحمك كما تنهش الحسرات.

تنكيسٌ في الخلق

أتعرف الغمَّ أيُّها الملاكُ المليءُ بالمرحِ .. ؟
أتعرف العارَ والندمَ والنحيبَ والضجرَ .. ؟
أتعرف موجاتِ الرعبِ الدافقةِ من الليلاتِ الخفيفةِ ؟
عندما تضغطُ القلبَ كما يفعلُ المرءُ بالورقةَ الملقاهُ في سلةِ
المهملاتِ .. ؟
أيُّها الملاكُ المليءُ بالمرحِ هل تعرفُ الغمَّ.



أتعرف الكراهيةَ أيُّها الملاكُ العامرُ بالطيبةِ والسماحةِ
حينما تتشجُّ القبضتانِ في ظلالِ الدموعِ والحقدِ الطاغِي
وعندما يدقُّ الانتقامُ طبَّنته الجهنميةَ ..
وحين تصبحُ المشاعرُ المهتاجةُ هي القائدُ المحكمُ فينا؟
هل تعرفُ الكراهيةَ أيُّها الملاكُ العامرُ بالطيبةِ والسماحةِ.
أيُّها الملاكُ الموفورُ الصحةِ هل تعرفُ ويلاتِ الحمى
بين جدرانِ المستشفياتِ الصفراءِ الكثيةِ ..
عندما يجرُ المرضى أرجلَهُمْ كما يجرُ المنفيونَ خطاهمُ
محركين شفاهم الجافةَ باحثين عن ضوءِ الشمسِ.

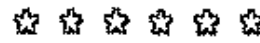
هل تعرف أيُّها الملاك المليء بالعافية ويلات الحمى
أيُّها الملاك القاتن الجمال .. هل تعرف التجاعيدُ
والخوفَ من الشيخوخةِ والتكيسِ في الخلقِ
هل بوسعك قراءة هذا الرعبِ الخفيِّ النابعِ من الإخلاصِ
والمشعِّ من عيوننا المحشوةِ باللهفةِ
هل تعرف معنى التجاعيدِ أيُّها الملاكُ القاتنُ الجمالُ ؟ !!!

العدو

لم يكن شبابي سوى عاصفة مظلمة هوجاء ...
تخللته بعضُ الشمسِ المضيئة.
برغم الرعودِ والأمطارِ التي ألحقتْ به الكثيرَ من الأضرار..
ولم تترك في بستانه سوى القليل من ناضجة الثمارُ



ها آلتا قد لامستُ الآن خريفَ الأفكار ..
لأتمكن من استخدام الفأسَ والمحولُ
ليتسنى لي حيازة الأراضي المغمورة من جديد .
رغم الأخاديدِ العميقة التي تنخرها المياهُ كالقبورُ.



من يدري لعل الأزهارَ الجديدة التي أحلمُ بها
قد تجدُ في هذه الأرضِ المغسولةِ كالمقبرة ..
الغذاءَ الروحي الذي يمدُّها بالقوة والنماء



آيتها الرائحة .. آيتها الرائحة : إن الزمنَ يأكل الحياة .
والعدو الغامض الذي يقضمُ قلوبنا..

ينمو ويقوي من دمائنا المسفوحة.

أنشودة للجمال

هل تنزلت من السماء أم صعدت من الجحيم
أيها الحسن إن نظراتك الجهنمية المقدسة ..
تشعل في الروح مزيجاً من حب الخير وإدمان الجريمة.
فأنت شبيه بالنيذر المعتق حينما يسري في الأوصال.

☆☆☆☆☆

إن عينيك تضمان هدوء الأصيل وتثاؤب السحر..
وتضرع منك العطور كما يتمدد المساء المشحون
بالعواصف.
إن قبلاتك رحيق مُسكر وفمك إلاء بلوري رقيق.
يا طالما أخاف الأبطال ...
وألهم الشجاعة للأطفال.

☆☆☆☆☆

هل خرجت من هوة سحيقة مظلمة أم هبطت من
الكواكب.
إن القدر المسحور يتبع تنورتك كالكلب الوفي ..

وأنت تشرُّ الفرحَ كما تشرُّ المآسى.
وتحكم في كل شيءٍ ولا تستجيبُ لشيءٍ.

☆☆☆☆☆

إنك تمشي على جثثِ الموتى هازئاً أيُّها الجمالُ اللامبالي...
وليس أقلُّ الأشياءِ روعةً ذلك الرعبُ المنبعثُ من حُلّيك.
إنَّ القتلَ يكمنُ ضمنَ أغلى نفائسك...
ويتدلى في نشوةٍ راقصةٍ من قوامِكَ المليءِ بالغرورِ.

☆☆☆☆☆

إنَّ صبايا الضوءِ تتحلّقُ من حولك أيُّها الشمعدانُ الباهرُ
مترنمةً وصائحةً : بوركت أيُّها المزهو الأخاذُ ...
فالعاشقُ الولهانُ المنكفيُّ على محبوبته ...
متداعياً عندك كالمحتضرِ الملامسِ لمقبرته.

☆☆☆☆☆

ماذا يَهُمُّ إن كنت قد تنزّلتَ من السماءِ أو صعدتَ من
الجحيمِ !!
أيُّها الجمالُ الوحشيُّ الخفيفُ ...

فإنّ عينيك وابتسامتك وقدميك...
قد أشرعت لي بابَ العالم اللانهائي الذي أعشقه.

☆☆☆☆☆

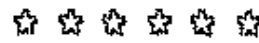
وماذا يَهُمُّ إن كنتَ قد جئتَ من الإله أو صدرت عن
الشیطان

وماذا يَهُمُّ إن كنتَ ملاكاً أو كنتَ من حورياتِ الماء
وماذا يَهُمُّ إن صرتَ جنيّة ذاتِ عَيْنينِ مخمليتين .
أو صرتَ إيقاعاً أو عطرأً أو القأ يا مليكي الأوحـد النبيلُ
فهي حضرتكِ يكتسى الكونُ بهاءً...
وتصيرُ اللحظاتُ أكثرَ رشاقةً كأنّها عصفورٌ.

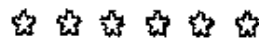
☆☆☆☆☆

الحياة الماضية

عِشْتُ زمناً طويلاً داخلَ الأروقة الممتدة
حيث تسكبُ الشُّمُوسُ البحريةُ آلافَ البيرانُ
فتتصبُّ أعمدُها الفخمةُ الملوكيةُ
جاعلةً من المساءِ كهولاً بزليةً.



فاضطراب الموج في حركته الدائمة يعكس صفحة السماء
مازجاً في صورة احتفاليه روحية..
أصداء المتناغمة وموسيقاه الثرية ..
بالوان الطيف الزاهية المنبعثة من عيني



هنالك عِشْتُ غارقاً في اللذات الهادئة ..
في قلب الشفق والأمواج والبهاء ..
وفي وسط الأرقاء التعساء ..
العراة المشربين بالروائح النفاذة ..

المرطبينَ جبهتي بسعفِ النخيلِ ..
المعمقين في كياني الأسرارَ المؤلمةَ التي تضنيني .

☆☆☆☆☆

السَّفينةُ الجميلةُ

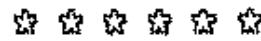
أود أن أحدثك أيتها الساحرة البضة
عن المفاتنِ الشتى التي تزينُ شبابك
وأريد أن أرسمَ لوحةَ لجمالِكَ الأخاذِ ..
حيث تترجُ الطفولةُ بالنضجِ والكمالِ

☆☆☆☆☆

فعندما تمشينَ محركةً الهواءَ بتورتك الواسعةَ الفضفاضة ..
تتركينَ في النفسِ شعوراً شبيهاً بما تُخلفهُ السفنُ المبحرةُ
جميلةً ومزهوةً حينما تمخرُ العبابَ ..
ومنزلقةً في اليمِ بأشرعتها المليئةِ بالرياحِ ..
في إيقاعِ هاديءٍ ، كسولٍ ، وبطءٍ

☆☆☆☆☆

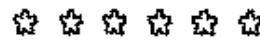
وعلى عنقك الطويل المستدير وكتفك الناعمين ..
تأرجح رأسك في لطافة غريبة ومدهشة
وفي وداعة ممزوجة بالزهو والغرور
تعبرين الطريق أيتها الطفلة المكسوة بالبهاء.



أود أن أحدثك أيتها الساحرة البضة
عن المفاتيح الشتى التي تزين شهابك.
وأريد أن أرسم لوحه لجمالك الأخاذ
حيث تمتاز الطفولة بالنضج والكمال.



إن عنقك الجميل الرافل في الحرير
مزهو كخزانة لامعة ومتينة
مجتدباً الأضواء كما تفعل الدروع الصقيلة



دروع مثيرة ومسلحة بسنان وردية
خزانة مليئة بأسرار ناعمة وأشياء جميلة

وذاخرةً بالتبذيرِ والعطورِ والكحولِ
الواهبِ السكرَ والهديانَ للقلوبِ والعقولِ.

☆☆☆☆☆

عندما تشمين محرقة الهواء بتورتك الواسعة
تتركين في النفس شعوراً شبيهاً بما تُخلِّفه السفنُ المبحرة
جميلةً ومزهوةً حينما تمخر العبابُ
ومنزلقه في اليم بأشرعتها المليئة بالرياح..
في إيقاع هادئ، كسول، وبطيء.

☆☆☆☆☆

إنّ ساقيك النيلتين حينما تحركان أطراف ثوبك الأليق..
تقلبان مواجع الشهواتِ الداكنةِ وتثيران..
كساحرتين تَرُجَّان مشروباً مسحوراً في إناءٍ عميق.

☆☆☆☆☆

وذراعيك البضين القويين..
شبهان بحيتين لامعتين متزاحمتين..

فقد خلّقا ليضمان في عنادٍ واصرارٍ..
إلى القلبِ .. صدْرَ الحبيبِ كأنّما يودان نقشه على
الجدرانِ.

☆☆☆☆☆

وعلى عنقك الطويل المستدير وكتفك الناعمين..
تأرجح رأسك في لطافة غريبة ومدهشة.
وفي وداعةٍ ممزوجةٍ بالزهر والغرور ... بالبهاء
تعبرين الطريق أيتها الطفلة المكسوة بالبهاء.

☆☆☆☆☆

الصوت

مد أن كنتُ صبيّاً كان مهدي يستندُ إلى المكتبات ..
حيثُ بابلُ المظلمة والروايات والعلوم والأساطير ..
يختلط جميعها مع الرماد اللاتيني والغبار اليوناني .
لقد كنت معلقاً في الهواء ككتابٍ صغير .
كان هناك صوتان يخاطباني ..
أولهما مخادعٌ وماكرٌ وحارمٌ .
كان يقول لي : الأرضُ قرصٌ حلوى مليءٌ بالرحيق ..
وبوسمي أن أجعل هناءك دون حدود ...
وشهيتك دون مثيل .
أما الآخر فقد كان يصيح بي : تعال إليّ أيّها المسافرُ في
الأحلام ...
أيّها الداهب لما وراء الممكن وما وراء المعلوم .
كان يغني كما تغني الريحُ في الرمل .
كان شبحاً صارخاً لا يدري أحد من أين يجيء ..
يداعب الأذان غير أنه يفرقها في فزع أكبر .

لقد أجبته صائحاً: نعم أيها الصوتُ العذبُ.
ومنذ ذلك الحين جاء ما يقال عنه:
جرحي وقدري الرابضُ ...
خلف أقنعة الوجود الرهيب والهوة السحيقة المظلمة.
أرى بوضوح عوالم غريبة وفريدة
وعبر رؤيتي الواضحة وذهولي المमित
أجرجر ثعابيناً تنهشُ في حقدٍ كعبٍ حدائي
ومنذ ذلك الحين وأنا شبيهة بالأنبياء
أحب بالحنان كله البحرَ والصحراءَ
وأضحكُ في المأتم وأبكي في الأفراح
وأجد مذاقاً طيباً في أكثر النبلِ مرارةً ..
وأعتبرُ كل الحقائق من قبيل الترهات
أسير وعيناي معلقتان بالسما فأسقط في الحفرة
غير أن الصوت كان يعزيني قائلاً: لتبقي على هواجسك..
فالعقلاء ليسوا أفضل من المجانين.

☆☆☆☆☆

الجمال

إنني جميلة كأحلام الحجارة ..
وصدري حيث يستشهد العشاق مرّات ومرّات ..
قد خلّق ليّ لهم الشعراء ..
قصائد الحب الخالد والصامت كصمت الجمادات .
إنني أتربع على عرش الشفق كلغز غامض
يؤلف بين القلب الثلجي البارد وبياض طيور البجع .
إنني أبغض الحركة التي تُربك انتظام الخطوط ...
ولا أعرف البكاء كما لا أعرف الضحك ...

☆☆☆☆☆

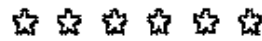
فالشعراء الحائرون أمام جلال أوضاعي ...
البادية وكأنّها قد استلّفت من الصروح العظيمة ..
يستهلكون أعمارهم في الهمّ والتفكير والدروس العقيمة .

☆☆☆☆☆

لأنتي. كي أسحر هؤلاء العشاق المولعين
فإن في عيني مرايا صافية تنعكس بهاءاً على كل الأشياء
عيناى الرحيتان المضيئتان منذ الأزل.

سوء حظ

لكي ترفع حملاً ثقيلاً يا (سيزيف) (١) ...
فكل ما تحتاجه الشجاعة
ورغم أن لنا قلوباً حساسة ومؤلفات ..
إلا أن سلم الفن طويل والزمن قصير.



بعيداً عن المقبرات الشهيدة

(١) في الميثولوجيا اليونانية أن سيزيف قد حكمت عليه الآلهة بحمل صخرة على كتفيه والصعود بها إلى قمة الجبل، غير أنه ما أن يشارف القمة حتى تتدحرج الصخرة لتهوى إلى الأرض، فيعاود سيزيف حملها والرقى بها إلى القمة دون جدوى، وهو بهذا يصبح رمزاً للإصرار. المترجم

ونحو قبور مجهولة وبعيدة
فإن قلبي كرباية مشبوبة..
يعزف للخطوات الجنائزية المحزونة.

☆☆☆☆☆

الكثير من المرحين يرقدون هنا مطمورين
في غياهب الظلمات والنسيان.
بعيدين عن كل آلات الحفر وقياس الأعماق.

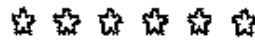
☆☆☆☆☆

الكثير من الأزهار التي تفوح في حسرة..
يضوع شذاها الشفيف كآته الأسرار..
في هذا المكان العميق الوحشة.

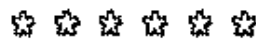
☆☆☆☆☆

إلى سيدة كريول^(١)

في تلك الأرض المضمخة بالطيب، المغسولة بالشموس.
التقيتُ في سُرّادقِ أغصانِ الأشجار الأرجوانية..
وعند هينماتِ أشجارِ جوز الهندِ التي تنثرُ النعاسَ على
العيون
بامرأة كريول ذات سحر أخاذ وفنّة لا يُعرفُ لها مثيل.



كان لونُ بشرتها شاحباً وساخنأ في سُمرةٍ ساحرة.
وكانت غيداءَ ينضح من مشيتها النبلُ والكبرياءُ
فارعةً ورشيقةً في خطوتها كأنّها قناصة..
ولها ابتسامةٌ هادئةٌ وعينانِ واثقتانِ

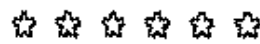


(١) الكريول: هم الخلاسيون من بقايا الرقيق الإفريقي، الذين امتزجوا بالدماء الأوروبية في المستعمرات الفرنسية خاصةً في جزر المارتنيك والقودلوب والريونيون، ويتحدثون لغة تسمى الكريول وهي خليط من الفرنسية واللغات الإفريقية. المترجم.

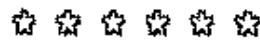
إذا ما ذهبت أيتها السيدة إلى أرض المجد الحقيقي ...
عند شطآن السين أو اللوار الأخضر ...
ستكونين زينة للبنات الفخمة العتيقة.
وستزرعين في الظلال المعتمة ...
آلاف القصائد في قلوب الشعراء..
المدعين لحسنك الأسر كما يذعن في بلادكم الأرقاء .

الظلمات

في سراديبِ الحزنِ الذي لا قاع له ...
حيث أمكُثُ منفيّاً من القدرِ المحتومِ
لا يدلفُ شعاعٌ ورديٌّ ومرحٌ ..
فالليلُ الخالكُ الكئيبُ هو المضيفُ والمؤانسُ.



إني شبيهٌ برسامٍ حَكَمَ عليه إلهٌ ساخرٌ..
بالرسم، يا للحسرة، في ظلامِ دامسٍ
فأنا محكومٌ بالطهي للشهيةِ الجنائزيةِ
وأراني أظهو قلبي وأقبلُ على أكلهِ بشهيةِ.



أحياناً يتلأأ في الظلماءِ ...
شبحٌ ممزوجٌ بالرحمةِ محفوفٌ بالأضواءِ
يتبختر مزهواً في مشيتهِ الحاملةِ الشرقيةِ.



وحينما يبلغُ قمةَ مجدهِ الوضاءِ ..
فلأنني أتعرف على زائرتي الحسناءِ ..
إنها هي .. سوداءٌ .. ولكن باهرة الأضواءِ

اللوحة

إنَّ المرضَ والموتَ .. يخلفان الكثيرَ من الرمادِ
من وميضِ النارِ التي أضرمتُ من أجلنا ...
ومن تلك العيون الواسعة الداخرة بالحياة والحنانِ
وهذا الفم الذي طالما غرق فيه قلبي ...

☆☆☆☆☆

من هذه القبلات النفاذة كالرياحين ..
وهذه الحركات السريعة كالشعاع ..
ماذا تبقى الآن يا للهول ... ؟
ليس سوى رسمٍ شاحبٍ بالأقلامِ .

☆☆☆☆☆

من مثلي يموت في وحدتهِ .. ؟

تمرغه كل يوم جناحا الزمن الظالم الوقح

☆☆☆☆☆

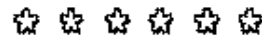
أيها القاتل الأسود للحياة والإبداع ..
ليس بوسعك أن تقتلها في ذاكرتي ..
تلك التي كانت مبعث فخري ومصدر بهجتي

المغرم

الشمس قد غطت وجهها بغلالة أرجوانية
فيا قمر حياتي، لتدثر نفسك بالظلال ...
ثم ثم أو إن شئت دخن لفافتك راضياً ..
وكن صامتاً وغامضاً واغرق في لجة الضجر.

فإني هكذا أحبك أن تكون .
ورغم ذلك فإن كنت تود الخروج ...
كما يخرج من خسوفه القمر ..
لتبخر كالطاووس في الأماكن التي يرحمها الجنون ..
فلك ما شئت أيها الخنجر الخارج من غمده.

أشعل حدقاتِ عينيكِ من لهبِ القناديل ..
أشعل الرغبةَ في النظراتِ وفي النزواتِ
كل ما يصدرُ عنك فإنه حبيبٌ لنفسي ..
حتى لو كان مرضياً أو حادَ الطباعِ .

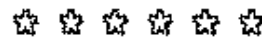


كنْ كما تشاء .. ليلاً مظلماً أو فجراً أحمرًا ..
فليس في جسدي عصبٌ لا يهتفُ مرتجفاً:
«إني أعبدك يا حبيبي الغالي بلزيوت»

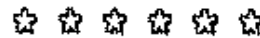


نقشٌ على كتابٍ تحت إدانته

أيُّها القارئُ المسالمُ البسيطُ..
أيُّها القانعُ الساذجُ الودودُ..
ألقي من يدك هذا الكتابَ المريضُ..
الملئُ بالسخريةِ المريرةِ .. الكئيبِ.



فإن لم تكن قد ارتويت من حياضِ عالمِ البيانِ ..
لدى الشيطانِ الماكرِ الكبيرِ..
ارم هذا الكتابَ .. لأنَّ فهمه عليك يستحيلُ ..
وربما اعتبرتِ كاتبةً في حالةٍ من الهياجِ والذهولِ
إن كنتَ تستطيع تركَ عينيكِ تغوصانِ في الأعماقِ ..
فالتقراؤني لتعرف كيف تحبني



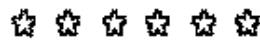
أيُّها الروحُ الفضوليةُ المعذبةُ..
الباحثة عن جنتها في تلاقيفِ نفسي...
فالترثي لحالي..
أو سادعو عليك باللعنة.

موت الفنانين

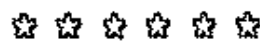
كم مرة يتعين على قرع أجراسي
وتقيلُ جبهتك المطاطة أيها المخلوقُ الساخرُ الحزين .
لتلصقني في نهاية المطافِ هذه الطبيعة الصوفية
كم مرة يا كثانة سهامى تطيشُ منى السهام؟



إننا نستهلكُ أرواحنا في نسج الدسائس الباردة
وتحطيم هياكل أجسادنا المتينة الصلبة
من قبل أن نتأمل هذا المخلوق الهائل ..
الذي تملؤنا رغبته الجهنمية بالنحيب .



كثيرون ممن لم يعرفوا أصنامهم ...
إنهم النحاتون المعذبون الملتطخون بالعار
الضاربون بالمطرقة صدورهم والجباه.

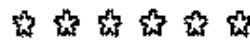


ليس لهم سوى أمل واحدٍ غريبٍ وقبةٍ مظلمةٍ

إِنَّهُ الْمَوْتُ اخْلُقْ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ كَالشَّمْسِ الْجَدِيدَةِ
لِيَفْتَحَ الْأَزْهَارَ فِي عَقُولِهِمْ.

موت العشاق

ستكون لنا أسيرةً مليئةً بعطر (شفيف)
وأرائك وثيرةً وعميقةً كالقبور ..
وأزاهيرُ غريبةً موضوعةً على الرفوف
يَلْفَنَّا عطرها تحت سماءاتٍ أكثر بهاءً



متنافسان قلبانا برمقهما الأخير ..
سيصبحان شعلتين تمكسان ضوئهما الغزير
على مرآة روحينا التوأمين.



وفي مساءٍ مضمفور بالوردِ وعالمٍ روحاني أزرق ..
ستبادل أضواءاً للألأة وفريدة ..
ممتدة كالنحيب الطويل ومليئةً بعبارات الوداع .
وبعد ذاك يُقْبَلُ الملاك .. ليفتح الأبواب ..

متهللاً ومخلصاً ليعيد الصفاء للمرايات المعتمة والشعلات
الذابلات .

موت الفقراء

يا للحسرة .. إنَّ الموت هو العزاء الذي يدفع للحياة ..
إنَّه هدفُ الحياةِ وأملها الوحيد ..
فهو كالأكسير يتفرع أجسادنا ويسكرها .
ويهب قلوبنا المقدرة على السير حتى المساء .

☆☆☆☆☆

عبر العواصف والجليدِ والشظايا ..
إنَّ الضوءَ المتلألئ في أفقنا الحالكِ السوادِ
إنَّه نُزلنا الشهيرُ المسطورُ في الكتابِ .
حيث يمكن الغداء والجلوس والرقادُ .

☆☆☆☆☆

إنَّه ملاكٌ يمسك بأصابعه النورانية ..

النوم ويهب الأحلام والرؤى الصوفية ..
ويهيئ الفراش للفقراء العراء ..

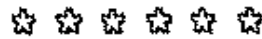
☆☆☆☆☆

إنه مجد الآلهة ومستودع الروحانيات ..
وهو هبة الفقير وملاذة الأوحاد ..
إنه البوابة المفضية للسموات المجهولة ..

☆☆☆☆☆

نهاية اليوم

تحت ضوءٍ شاحبٍ خفيت ..
تجري وترقص الحياة مثنيةً من دون ما سبب ..
الحياة الوقحة الصخابة ..
هنيهةً ويصعد الليلُ المليء بالشهواتِ في الأفق ..
مهدئاً لكل شيءٍ حتى عضه الجوع وشدة الظمأ ..
وماحياً لكل شيءٍ حتى الشعور بالخجل ..
وحينها يخاطب الشاعر نفسه قائلاً : «أخيراً !!!».



إنّ روحي وكافة أوصالي تتوق للهجوم ..
وكذا قلبي المليء بالهواجس الشهواء والظنون .
سأذهبُ لكي أستلقي على ظهري ..
وأتمرغُ في ستائرِك أيتها الظلمة المنعشة .

سمبر أيديم

قلت لي : من أين يأتيك هذا الحزنُ الغريبُ ...
الصاعدُ كما يصعد موج البحر على صخرةٍ سوداءٍ عارية..؟
أقول : عندما تجني قلوبنا ما تترجى من ثمرات ..
تصبح معاناةً وألماً ينقصه الغموض والإثارة ..
تماماً مثل بهجتك الغامرة البادية للعيان ..
فلتكفي عن البحثِ طويلاً أيتها الجميلة الفضولية.
لتصمتي رغم جمال صوتك وعذوبته.

☆☆☆☆☆

لتصمتي أيتها الروحُ الجاهلةُ الدائمةُ البهجة.
أيتها الفمُ الضاحكُ كالأطفال ..
إنَّ الموتَ قد غدا يُمسِكُ بنا أكثر من الحياة.

☆☆☆☆☆

لتركي قلبي ينتشى بالأكاذيب ..
وينغمس في عينيك الجميلتين كما ينغمس في الظنون ..
دعيه ينام طويلاً في ظلالِ هُديك الطويل .

الميت الفرح

أريد أن أحفر لي حفرة عميقة ومظلمة
في أرض رخوة وملينة بالرخويات
ليتسنى لي في مهل طمر عظامي الواهنة المعلولة
وأنام على حوض النسيان كالسمكة بين الأمواج



إنني أبغض التراتيل الجنائزية والأضرحة ..
وعوضاً عن أزرف قطرة دمع أسفاً للعالم والأحياء ..
الأفضل دعوة كل الغريبان لتدمي جيفتي الشوهاء.



آيتها الديدان السوداء الفاقدة الأعين والآذان ..
ها قد جاءك ميتاً حرّاً وسعيداً.

أيها الحكماء الشرهون يا أطفال العفن .
لتمضي عبر حطام جسدي دون حسرةٍ أو إشفاقٍ
وتعالي إن كان لديك عذابٌ أكثر قسوةً وأمرٌ مذاقُ
لهذا الجسد الواهن الراقد بين الأموات .

سأم

أحتفظُ بالكثير من الذكرياتِ كأنما عُمُرْتُ ألفَ عامٍ
إنني شبيهٌ بخزانةٍ مليئةٍ بالدفاترِ ..
والأشعارِ والبطاقاتِ الغرامية والدعاوي القضائيةِ وأغالي
الحبُ .
إنَّ شعري الكثيف المتدلي في خصلاتٍ ..
يخفي أسراراً ثقل كثيراً عما يخلي عقلي التبعسُ
إنه هَرَمٌ ضخَمٌ وكهفٌ لا قرارَ له .
يرقدُ فيه أمواتٌ أكثرُ ممن تضمهم مقبرةُ جماعيةٍ .
إنني مقبرةٌ يجفوها ضوءُ القمرِ ..

وتزحفُ فيها الديدانُ كما يزحفُ الندمُ ..
ناهشاً لحمَ أحبابِ الأثيرين إلى قلبي.
لأني شبيهةٌ بصالونٍ عتيقٍ مليءٍ بالأزهارِ الدابلةِ
يتكدس فيه ركّامٌ من الأثاثِ العتيقِ البالي
ولا يَسْتَشِيقُ فيه عطرًا فائحاً إلا أصحابُ الأقلامِ المنتحبةِ.
ليس هناك ما يشبه طولَ الأيامِ العرجاءِ
حينما يُصبحُ الضجرُ تحتَ ثقلِ سنواتِ الفلجِ المندوفِ ...
أضخمُ حجماً وأكثرَ أبعاداً من الأبديةِ
ورغم ذلك لمْ تعودين أيتها المادةُ الحيةُ ...
إلا صخرةً صلبةً يطوقها رُعبٌ غامضٌ ...
قابعةً في جوفِ صحراءِ ملبّدةٍ بالغيومِ ..
لغزاً قديماً مجهولاً للعالمِ لا مبالى ..
منسياً على غارطةِ الدنيا .. ولا تنطلقِ دعابتهُ المنفرةُ ..
إلا في أشعةِ الشمسِ المائلةِ للغروبِ .

قارورة عطر

إنها ذات عطر قوي ينفذ من كل الأشياء ..
حتى لكأله ينفلت من جدران الزجاج ...
حينما يفتح صندوق قادم من الشرق .
صائحة مفاصله في غضب وهياج ...

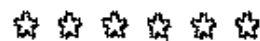


أو من خزانة في بيت منسي مهجور ...
فائحة بروائح الأزمنة الغابرة مغيرة سوداء ...
فأحياناً نجد قارورة قديمة غارقة في تذكارات
من أين انبجست تلك الروح الوثابة عائدة للدار
آلاف الأفكار تنام مشرقة وكثيرة.
مرتعدة في هدوء في الظلام الكثيف ...
المطلق جناحيها لتلحق في الأثير..

زاهية في اللازورد مطرزة بذهب الأصيل ..
ها هو ذا التذكار المسكر المرف كالقراش ...
في الهواء العكر حيث تغمض العيون أجفائها ..
ويأخذ الدوار بتلايب النفس المهزومة ..
ليقذف بها في لجة الإنسانية الداكنة التمه.



واضعاً لها على شفير هاوية سحيقة وقديمة ..
حيث رائحة الخنوط تمزق كفن العازر ..
فيتحرك في الجسد الطيفي الفاني ..
حب رمسي قديم ومتخثر ورائع !!!



هكذا سيكون حالي عندما تتمحي ذكرياتي ...
وأرقد في ركن قصي من مكان مشؤوم .
عندما يلقون بي كقارورة قديمة وبائسة ..

عاجزاً وأغبراً ومتسخاً ولزجاً ومحطماً .
حينها .. سأصبح تابوتك أيها العفن الحبيب ..
الشاهد على قوتك ومضاء عزمك .
أيها السم الحبيب الذي استحضرت الملائكة !
أيها السائل الذي يهشني .. يا حياة قلبي وناله !!

فهرست

الموضوع	رقم الصفحة
الإهداء	٤
عذابات الشعر	٥
رسالة إلى القارئ	٨
مدخل	١٠
ما هي القصيدة؟ وما هو الشعر؟	١٣
شارل بودلير شاعر الخطيئة والتمرد	١٥
بودلير والرحيل والبحر والعطور	٢٣
جان دو فال وأنخريات	٢٨
الضجر والزمن والميتافيزيق	٣٣
خاتمة	٤٨
مراجع	٥٠
بعض قصائد أزهار الشر	٥١

٥٢	رسالة إلى القارئ
٥٥	تحقيق
٥٦	الموسيقى
٥٧	عطر
٥٨	الباطروس
٦٠	البحر
٦١	الشرفة
٦٥	أغنية خريفية
٦٧	مغيب الشمس
٦٨	بركات السماء
٧٠	مشاعل
٧٣	الخصلات
٧٦	انسجام المساء
٧٧	طعم العدم
٧٨	وسواس
٨٠	العطر الغريب

٨١	إلى امرأة شجاعة
٨٣	عيننا برت
٨٤	حزن القمر
٨٥	لوحة طبيعية
٨٧	ساعة الجدار
٨٨	أغنية ما بعد الظهيرة
٩١	القطّة
٩٢	الجيفة
٩٤	حسرات بعد الموت
٩٥	تنكيس في الخلق
٩٧	العدو
٩٨	أنشودة للجمال
١٠١	الحياة الماضية
١٠٢	السفينة الجميلة
١٠٦	الصوت
١٠٨	الجمال

١٠٩	سوء حظ
١١١	إلى سيدة كريول
١١٣	الظُّلُمات
١١٤	اللوحة
١١٥	المغرم
١١٧	نقش على كتابٍ تمت إدانته
١١٨	موت الفنانين
١١٩	موت العشاق
١٢٠	موت الفقراء
١٢٢	نهاية اليوم
١٢٣	سميراً أيّدم
١٢٤	الميت الفرح
١٢٥	سأم
١٢٧	قارورة عطر
١٣٠	الفهرست



المؤلف هي سطور

- الاسم: عمر عبد الواحد عبد الرحمن
مكان الولادة: مدينة الكوه بالنيل الأبيض (السودان).
المؤهلات العلمية:
* بكالوريوس الآداب جامعة الخرطوم.
* ماجستير الآداب جامعة إكس- مرسيليا «فرنسا».
* دكتوراه في التاريخ والثقافات الإفريقية جامعة إكس- مرسيليا «فرنسا».
* دبلوم في اللغة الفرنسية جامعة بيزانسون «فرنسا».
* دبلوم في صناعة القرار في السياسة الخارجية للولايات المتحدة «واشنطن».
اللغات التي يجيدها: العربية والانجليزية والفرنسية.
المؤهلات العملية:
* أستاذ غير متفرغ في جامعة الخرطوم ١٩٦٩م.
* دبلوماسي في وزارة الخارجية السودانية ١٩٧٠م.
* عمل بسفارات السودان في كينيا، دمشق والقاهرة وتونس وباريس وجيبوتي وعمان.
* شغل منصب سفير السودان في زائير وجيبوتي والمملكة الأردنية الهاشمية.
مطبوعات: ديوان شعر بعنوان «أسرار تمبيكتو القديمة».
وديوان شعر ثاني بعنوان «مهرجان العصفير والآراك».
* له العديد من المقالات المنشورة في المجلات العلمية والصحف اليومية السودانية والمصرية والقطرية والسورية.
* يحمل وسام العهد الزائيري من الطبقة الأولى ووسام الدولة التونسية.
* متزوج وله أربعة أطفال.

To: www.al-mostafa.com